

« خلق الله النساء لتدبير امر المنزل وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها ازواجهن فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن اليه في هذا وجاء الشرع مطابقاً للفطرة فكن في احكامه غير لاحقات للرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث . »

فضيلة الشيخ محمد عبده
مفتي الديار المصرية
(نهج البلاغة جزء ١ صحيفة ٦٥ حاشية (١))

. . . .

« اذا علم ذلك فهل يتأتى تقريب الرجل من المرأة وتسهيل اختلاطهما بدون المخاطرة بصفو العائلات والعبث بالآداب والاعراض ؟

فجواب ديننا القويم على ذلك أن لا . ولهذا امرنا بالحجاب وبان تكون مجامع الرجال خاصة بهم لا يجوز ان تحضرها امرأة اجنبية عنهم كما امر النساء ان يجتمعن ببعضهن وحدهن ولا يحضر رجل في مجتمعاتهن . وقد قصد الدين الاسلامي بذلك ان يحفظ كلا من الرجال والنساء من نتيجة ضعفهما وان يسد ابواب الفتنة والمفسدة ويستأصل الداء من جذوره . لانه اذا قيل ان الفرصة تعلم السرقة فانها تقود كذلك الى الزنا . » قاسم امين بك

(صحيفة ١٤٧ من الرد على الدوق داركور)

. . . .

. . . .

. . . .

« ومن الغريب ان الانسان قد يرى بين المسلمين من يتزندق او من يعتريه ضعف فى يقينه او شك في ايمانه بل منهم كثيرون اتبعوا كل العادات الاوروبية فى مأكلهم ومشربهم وملبسهم ولكن لم يوجد ولن يوجد قط بينهم من يقبل ان يكون زوجاً حسب الطريقة الغربية والعادات الافرنكية ولعلهم منتظرون لقبول ذلك أن يفشو مبدأ الاشتراكيين بين العباد ويسود فى كل البلاد ويتناول الاعراض كما يتناول الاموال . »

قاسم امين بك
(صحيفة ١٥٢ من الرد المذكور)

١٣١٩ هـ مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز بمصر ١٩٠١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد الذي جاء رحمة للعالمين ومتمماً لمكارم الاخلاق وحاثاً على التمسك بفضائل الدين والشرع المبين .

أما بعد فانه ظهر من منذ سنتين كتاب لحضرة قاسم امين بك اسمه « تحرير المرأة » اتى فيه على حالة المرأة المسلمة وذهب الى وجوب تعليمها وتربيتها مما وافقه عليه كل عاقل منصف ولكنه استرسل فى القول اذ وجده ذا سعة حتى قال انه لا تكون التربية الا برفع الحجاب والاختلاط وبوجوب الاقتداء بالمرأة الاوربية فى جميع ادوار حياتها .

فاقامت هذه الدعوة الجديدة الرأى العام واقعدته واستفزته استفزازاً لم نعهده فيه حتى ولا فى المسائل السياسية الكبرى وحصل اخذ وردٌّ فى هذا الموضوع لبث زمناً طويلاً واشتغلت به الجرائد مدة وما ذلك كله الا لكون حضرة صاحب تحرير المرأة جعل دعوته من جانب الدين وقال إن الشرع يعززها ولا يعارضها .

وذهب فريق المعارضين الى أن الدين الاسلامي الذى أتى متمماً

لمكارم الاخلاق امر بالحجاب بمعنييه وهما تغطية المرأة رأسها وبدنها على غير محرم لها وقصرها فى بيتها الا لضرورة توجب خروجها وقالوا ان هذا الحجاب اصل من اصول الادب وانه اعظم حصن للعفة وانه لا يمنع قط من تعليم المرأة وتهذيبها وتقويم اخلاقها وتمنوا ان لو أتيح الرجوع الى هذا الحجاب كما يأمر به الشرع ويقضى به الدين .

وقد كنا ممن ذهبوا هذا المذهب فى كتابنا الاول « تربية المرأة والحجاب » واتينا حسب ظننا بما يثبت جميع ما اوضحناه من القرآن الشريف وسنة نبينا عليه افضل الصلاة والسلام ومن اثر السلف الصالح الذى به نقتدى ومن اقوال ائمة الدين قديماً وحديثاً .

وكنا ظننا ان هذا الباب قد أغلق ولكن اطلعنا بعد ذلك على عبارة فى المجلة المصرية تفيد ان حضرة صاحب كتاب « تحرير المرأة » كتب كتاباً آخر على « المرأة الجديدة » يعيد فيه النغمة الاولى ويرد به على من عارضوه . فتشوفنا لمطالعة هذا الكتاب الجديد حتى اذا ما ظهر تصفحناه فوجدناه كالاول من حيث الموضوع والافكار ولكنه زاد عليه حرية فى المجاهرة بتمام ما فى الضمير كما زاد عليه استخفافاً بالمعارضين له وبافكارهم وتعريضاً بهم وقام على المدنية الاسلامية وحضارة الاسلام فأنكر الاثنتين وقال انهما كانتا قاصرتين فلا يصح ان يطلب الرجوع الى شيء لم يكن الا فى مخيلة بعض المغرورين .[1]

ولقد غرته زخارف المدنية الغربية وظواهرها فبنى عليها العلالى

(١) سيجد القراء فيما يأتى بعضاً مما جاء فى هذا المعنى بكتاب المرأة الجديدة

والقصور واولع بها وشغف بخضراء دمنها وقال هى منتهى الكمال الذى وصل اليه البشر ولا تقوم لنا قائمة الا اذا جارينا الفرنج فى مضمارهم وسابقناهم فى شوطهم وقلدناهم فى كل عاداتهم واخلاقهم التى يراها جميعها بعين كليلة عن كل عيب .

يطلب منا ذلك وان كلفنا من فقدان عادات حسنة يراها بعين السخط سيئة ما كلفنا ولو فقدنا فضيلة العفة وهى البقية الصالحة مع انه خير لرجل يشعر ان يموت ويدفن من ان يرى بين اهله او بيته امرأة فى تهتك وابتذال ولو كانت بهجة العلم وحليته . والحرية التى تقتل العصمة شر من الحجاب القاتل للرذائل .

ولما انتشر هذا الكتاب اخذ له دوراً لم يقل عن دور الكتاب الاول من الاهمية واجمع الناس على مخالفته الا نفرا من حاشية المؤلف واصحابه وعددهم قليل يعد على الاصابع .

ومن الاسف ان الجمعية المصرية بفضل مركزها فى العالم تسرب اليها قوم يسعون فى قلب هيئتها الحاضرة وتغيير ما درجت عليه من نظام دينها ومن هؤلاء من كتب فى هذا الموضوع مع انه لاحق له فى الكتابة فيه اصلاً حيث لا ناقة له فيه ولا جمل ومن اولئك المتصدرين من قال : ان الله اتاح للشرق اثنين بهما اصلاحه احدهما اصلح النصف الاول من الامة وهو المرحوم جمال الدين الافغانى فانه اصلح الرجال والثانى هو صاحب المرأة الجديدة فان به صلاح القسم الثانى . ! !

على اننا لو تدبرنا حالنا ونظرنا الى القسم الاول الذى تمّ اصلاحه على

رأي حضرة المناظر ان كان هناك اصلاح وقسنا عليه ذلك الاصلاح الموعود به القسم الثانى لقلنا على الدنيا كلها السلام : فآداب الرجال فى شرقنا معلومة ومبلغ علمهم مشهور . فقد فشا الفجور وعم الفساد واصبحت البيوت دور فسق وحانات خمور وسأت الاخلاق واختلت طرق التربية . واصبح التبذير والاستدانة وعدم النجاح فى العلوم والدروس من الامور المعتادة عند الشبان فلا يحجر عليهم بسببها بشهادة اعظم محكمة فى القطر كما حكم به حضرة مصلح القسم الثانى من الامة[١] !

فاذا كان نصيب القسم الثانى ما أصاب القسم الاول من الاصلاح فلقد علمنا منتهى ذلك الاصلاح وانه لخليق بنا وأليق ان نبقى على ما نحن فيه من ان نساق الى حتفنا بظلفنا باسم الشفقة والمرحمة وحب الاصلاح وتحت ستار الدين . على اننا نجل المرحوم جمال الدين من أنه كان يرمى الى ما أصبحنا فيه وحاشاه لو كان حياً ان يسمى ذلك اصلاحاً او ان يرضى بأن يلصق به اسمه

ولقد لقب آخر من اولئك المتصدرين حضرة صاحب المرأة الجديدة بانه « لوثير الشرق »[٢] ولو كان عند هذا الكاتب اطلاع على ان فى رجال

---

(١) انظر حكم محكمة استئناف مصر الاهلية الصادر فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٠٠ برئاسة حضرة قاسم امين بك فى قضية الطعن المرفوع من ابراهيم بك حمدى نجل المرحوم احمد بك حمدى مفتش عموم مصلحة الصحة سابقاً فى قرار مجلس مصر الحسبي القاضى بالحجر عليه

(٢) لوثير الذى أسس مذهب البروتستانت وخلص الدين المسيحي حسب اعتقاد هذا الفريق من بعض خرافات وبدع الخ ....

الدين الاسلامى من قام بدفع الخرافات الدخيلة فيه كالامام ابن تيمية والغزالى وغيرهما لانحل له اسم احدهم .

على انه لو كان كل من جاهر أولاً من بين المصريين بشقاء المرأة فى الشرق وطالب بتحريرها يستحق هذا اللقب لوجد من هو احق به وأجدر من صاحب المرأة الجديدة : وهو حضرة مرقص افندى فهمى المحامى فانه وضع فى سنة ١٨٩٤ — أي فى الوقت الذى كان حضرة صاحب المرأة الجديدة يرى فيه رأينا ويدافع عن آداب المرأة المسلمة وحجابها وعن المدنية الاسلامية — كتاباً فى قالب رواية اسمه « المرأة فى الشرق » ذكر فيه كل ما جاء بكتابى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة . » بل زاد عليه انه طلب — فوق رفع الحجاب والاختلاط وحجر الزواج باكثر من واحدة وجعل حق الطلاق من حقوق الزوجين وحصر اسبابه ووجوب طلبه من سلطة القضاء التى يجب ان تكون واحدة بالنسبة لجميع الوطنيين ! — الترخيص بحل الزواج بين المسلمين والاقباط فيجوز لقبطى ان يتزوج مسلمة كما اباح الشرع عكسه حتى يمتنع التعصب وينتفى النفور المستحكم بين الجهتين[١] وتتم المدنية والحضارة (حسب زعمه)

فاذا كان من يطالب بالتحرير ورفع الحجاب والاختلاط فقط يلقب بلوثير الشرق فأحر بمن يطلب كل ذلك وزيادة عليه مزج الدمين المسلم والقبطى ان يكون « لوثير » مرتين أو اكثر ! !

وانه ان كان ذلك الكتاب لم يؤثر التأثير الذى اثره كتابا « تحرير المرأة »

---

(١) صحيفة ١٦٦ وما يليها من رواية المرأة فى الشرق

و « المرأة الجديدة » ولم تقم من أجله الدنيا وتقعد ولم يهتم به الكتاب فما ذلك الا لزيادة حرية ضمير حضرة مؤلفه وحرية افكاره فانه بسط فكره وما يراه صالحاً ولم يدَّع انه يدعو اليه باسم الدين بل قال : ان ظروف الاحوال تقضى به وان له من تهاون الحكومة بأمور الدين اقوى مساعد على طلب ذلك مع اعترافه بمخالفته للشرع (١)

وعليه فلو لم يتمكن محرر المرأة الثانى على عصا الدين ويقل انه يأمر بما يطلب ما اهتم احد بقوله ولا عمل على تفنيد مذهبه .

هذا وقد قام من بين القوم متحير يتساءل عما اذا كان الحق دائماً مع الاغلبية وسرد وقائع تفيد ان التاريخ اثبت بعد طويل زمن ان الحق كان فيها مع الاقلية وحاول ان يقيس على هذه الوقائع مسألة الخلاف بين الفريقين فى هذا الموضوع . على انه لو انصف لسلم ان لا قياس فى ذلك اذ ان الوقائع الخلافية التى قد يكون للاقلية الحق فيها هى بعض مسائل علمية أو اكتشافية قد يغيب عن فهم الاغلبية معرفتها وهذا أمر جائز وواقع ولكن فى مسألتنا هذه لا محل للشك والحيرة : فالامر دينى محض والقرآن هو هو . والسنة هى هى . وآثار السلف الصالح لم تنقض وكلها مؤيدة للحجاب ومقررة له ومثبتة لاستعماله . وان صح ان بعض الائمة قال بجواز كشف الوجه فقد علق ذلك الجواز على الضرورة وأمن الفتنة بشروط وقيود مخصوصة وعليه يكون الحجاب واجباً بالاجماع فى وقتنا هذا .

فما دام كل ذلك مقررا لا يصح ان نقول انه سيأتى يوم يظهر فيه

---

(١) صحيفة ١٧٠ وما يليها من رواية المرأة الشرقية

أن الحق للاقلية فى هذا الموضوع اللهم الا اذا بدل القرآن بقرآن غيره وثبت ان الاحاديث الواردة فى هذا الباب موضوعة وان ما وصل الينا بطريق التواتر من اخبار السلف والصحابة مكذوب حينذاك يكون مجال للحيرة وللقول بجواز تصويب رأى الاقلية . على انه لو حصل هذا لا قدر الله لوجب علينا لاسباب لا تخفى على البصير ابقاء الحجاب للنساء والتمسك به لا من طريق الدين بل لانه اصل من اصول الادب ولانه اعظم حصن للعفة .

على ان الحق قد اصبح ساطعاً وظهر ظهور الشمس فى رابعة النهار بعد ان قطعت جهيزة قول كل خطيب وقال المرحوم قاضى قضاة مصر السابق كلمته فى هذا الموضوع وهو الذى بكلمة منه فصل الخطاب فى جميع تصرفاتنا الدينية واحوالنا الشخصية ولا يخفى ان المسألة من متعلقات تلك الاحوال الشخصية التى هى من اوجب ما يلزمه المحافظة عليه ومن اهم اختصاصاته .

وقد جاءت رسالة « الاحتجاب » التى ألفها رحمه الله حجة دامغة على ان الدين الاسلامى يأمر بالحجاب وينهى عن اطلاق حرية النساء ومزاحمتهن للرجال فى مجامع الحياة .

وهذا فضيلة مفتى الديار المصرية حالاً يرى ان المرأة اقل من الرجل ادراكاً وحساً وان لها عملاً مخصوصاً لا يصح ان تتعداه قال[1] :

«خلق الله النساء لتدبير امر المنزل وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها ازواجهن فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن اليه فى هذا وجاء

---

(١) صحيفة ٦٥ من نهج البلاغة جزء أول حاشية (١)

الشرع مطابقاً للفطرة فكن فى احكامه غير لاحقات الرجال لا فى العبادة ولا الشهادة ولا الميراث »

وهذا حضرة صاحب مجلة المنار — وهو الرجل الذى عرف الناس جميعهم مكانه من الدين كما قال حضرة صاحب المرأة الجديدة ! — قد قال عند ظهور تحرير المراة من مقالة عنوانها «كلمة فى الحجاب» ما يأتى: (١) « والذى »
« نراه نحن فى المسألة ان التربية والتعليم لا يتوقفان على كشف الوجه »
« ولكنهما يتوقفان فى كمالهما على مكالمة الرجال ومبادلتهن الافكار »
« والاقوال وربما كان فى الاقارب غنية عن الاجانب »

وقال ايضاً ضمن هذه المقالة (٢) : «العلماء متفقون على وجوب الستر — »
« لا استحبابه — عند خوف الفتنة ولا يمكن ان يتغير هذا الحكم الا »
« اذا زال سببه وأمنت الفتنة . اما الضرورات فانها تقدر بقدرها »
« وتجري على قاعدة : (يرتكب اخف الضررين) وهى من القواعد »
« الشرعية العقلية التى لا تختلف باختلاف الزمان والمكان »

وقال عند ظهور المرأة الجديدة : (٣)

« يقول هؤلاء المنتقدون ان هذا الكتاب وسلفه ما ألفا الا لاقناع »
« المسلمين بأن يعطوا نساءهم الحرية المطلقة بمعاشرة من يردن من الرجال »
« وأن يكنّ كنساء الافرنج مكشوفات الوجوه والرؤوس يختلفن الى »

---

(١) مجلة المنار العدد الصادر فى ٢٦ أغسطس سنة ١٨٩٩ ؛ صحيفة ٣٧١

(٢) مجلة المنار العدد الصادر فى ٢٦ أغسطس سنة ١٨٩٩ صحيفة ٣٧٨ حاشية (١)

(٣) مجلة المنار العدد الصادر فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٠١ صحيفة ٣٠

« الملاهى والمراقص ويذهبن فى التهتك كل مذهب . هذا ما يلهج به »
الجماهير يتلقفه بعضهم عن بعض . . . »

« ان كان الكتابان ألفا لهاتين الغايتين او اشتملا عليهما فنحن وجميع »
« المسلمين بل وجميع العقلاء نقول انهما باطلان جديران بالمقت والرفض »
« لان ذلك يجرُّ إلى فتنة فى الارض وفساد كبير ويكون به خيار نسائنا فى »
« التهتك والتبذل ابعد غوراً من شر نساء الافرنج لان لهؤلاء من التربية »
« والعلم الذى لم يصلن اليه الا بعد عدة قرون ما ليس لنا شىء منه ونحن »
« لم نبتدىء بالتربية ابتداءً . ولكن هل الكتابان كما يقولون ؟ (١) الجواب »
« ما قلناه فى تقريظ كتاب (تحرير المرأة) فى العام الماضى من أن المؤلف »
« غالى فى بيان مضار التشديد والمبالغة فى الحجاب وبالغ جداً فى جعل »
« نجاح المسلمين متوقفاً على ازالة الحجاب المعهود فى الاذهان والموجود »

---

(١) ما علينا الا ان نورد بعض شذرات من المرأة الجديدة ليعلم القراء ان كان الكتابان كما يقول المنتقدون ام لا :

جاء فى صحيفة ١٥٠ : « نقول هذا مع اطلاعنا على ما كتب فى شأن المرأة الغربية ومع علمنا بما هي عليـه . ولا نرى مانعاً من السير فى تلك الطريق التى سبقتنا اليها الامم الغربيـة . لاننا نشاهد ان الغربيين يظهر تقدمهم فى المدنية يوماً فيوماً ونرى ان البلاد التى يتمتع فيها النساء بحريتهن وبجميع حقوقهن هى التي تسير كالدليل أمام الامم الاخرى وتهديها فى سبيل الكمال فى المدنية . . . . »

وجاء فى صحيفـة ١٥٤ : « وبالجملة فاننا لا نهاب ان نقول بوجوب منح نسائنا حقوقهن فى حرية الفكر والعمل بعد تقوية عقولهن بالتربية حتى لو كان من المحقق ان يمررن فى جميع الادوار التى قطعتها وتقطعها النساء الغربيات . . . . . »

« أثره فى العيان بحيث ان هـذه المغالاة والمبالغـة المصوغة فى قالب »
« الاسلوب الكتابى المؤثر تذهب بوجدان القارئ الى وجوب تمزيق »
« هذا الحجاب . . . . . »

« وقد رأينا من أفاضل المعتدلين فى الانكار على كتاب المرأة »
« الجديدة من قال ان هذا هو الضرر الحقيقى من قراءة الكتاب وقال : »
« انى كنت أقرأه فأشعر بوجدانى قد تغير واعتقادى بوجوب بقاء »
« الحجاب قد تزلزل واضطرب فاترك القراءة ليثوب اليّ وجدانى الاول »

وجاء في صحيفة ١٨٥ : « وليس من دواء الا اننا نربى اولادنا على ان يتعرفوا شؤون المدنية الغربيـة ويقفوا على اصولها وفروعها وآثارها . اذا اتى هذا الحين ونرجو أن لا يكون بعيداً انجلت الحقيقة أمام اعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربى . . . . »

« من هذا يتبين ان نتيجة التمدن هي سوق الانسانية في طريق واحدة . . . . هـذا هو الذي جعلنا نضرب الامثال بالاوربيين ونشير بتقليدهم وحملنا على ان نستلفت الانظار الى المرأة الاوربية . »

وجاء في صحيفة ١٩٠ : « وممـا اخذناه على الغربيين في آدابهم تكشف نسائهم واختلاطهن بالرجال وتمتعهن بالحرية التامة واحترام الرجال لهن . وكثير منا يعـدّ هذه العادات اسباباً لفشو الفساد فيهـم ويعتقدون ان جميع نسائهم لا يعرفن العفة وكل الرجال مجردون عن الغيرة . ولمـا كانت غاية التمدن هي تمدن النفس وتطهيرها من الرذائل والابتعاد بها عن المنكرات والخبائث ونشر الفضيلة بين الناس كان لنا الحق في احتقار المدنية الاوربية ان صح ما اعتقدناه فيها . ولكن هل هذا الاعتقاد صحيح ؟ »

. . . .

« لهذا لا نتردد في ان نصرح بان القول باننا ارقى من الغربيين في الآداب هو من قبيل ما تنشده الامهات من الغناء لتنويم الاطفال . . . . »

« ويسكن اعتقادى فيه ثم أعود اليها . فقلت له : ربما تكون هذه المغالاة »
« مقصودة للمؤلف لان الداعى الى شيء ينبغى له لاجل ارجاع من »
« يدعوهم الى الاعتدال الذى هو الحق ان يقف على الطرف المقابل لما »
« هم فيه فان كانوا فى جانب التفريط يقف فى جانب الافراط لينتهي »
« التجاذب بينه وبينهم الى الوسط . ولو وقف فى الوسط وجذبهم »
« وجذبوه يخرج كل منهما عنه أو يبقى فى محله ولافائدة فى ذلك ومن هنا »
« يقول الناس :لابد من شيء من الباطل لاجل الوصول الى الحق..... »

« ثم ان من فوائد هذه المبالغة أن أثارت افكار الناس للبحث وكل »
« الباحثين أو جلهم موافق له على سوء حالة المرأة المصرية أو المسلمة »
« ووجوب تربيتها وتعليمها وقد كان المانع الاكبر منهما عند الجماهير هو »
« الحجاب ولكنهم يخالفونه فى توقف التربية والتعليم فى كمالهما على تخفيف »
« الحجاب أو منعه فاذا انتهت هذه المناقشات بانصراف همة الامة الى »
« تربية وتعليم مع بقاء الحجاب نتقدم الى الامام . . . . . . »

هذا ماقاله حضرة صاحب المنار وهو أحسن اعتذار يقدم من صديق

وجاء في صحيفة ٢٠٦ : « وبالجملة نقول ان التمدن الاوربى ليس خيراً محضاً فان الخير المحض ليس موجوداً في عالمنا هذا لانه عالم النقص . وانما هو الخير الذي امكن للانسان ان يصل اليه الآن فقد أتم به شيئاً مما كان ينقصه وارتقى به درجة من الكمال . ومهما كانت هذه النتيجة صغيرة في جانب ما ينتظر للنفس الانسانية من الكمال فانه ينبغى لنا أن نقنع بها وعلى المستقبل أن يصل باهله الى ما هو أعلى منها . »

وجاء في صحيفة ٢٠٩ : « الكل متفقون على ان حجاب النساء هو سبب انحطاط الشرق وان عدم الحجاب هو السر في تقدم الغرب . . . . » الخ الخ الخ .

لصديقه بما ربما لم يكن له فى الحسبان أو يخطر له على بال ! .

فماداعية التحير والاختباط اذن والمسألة بسيطة قد حلها أئمة الدين والمغترفون من بحرهم — حتى الذين يقدس رأيهم حضرة محرر المرأة — اعظم حل وأسهله .

ونحن لانقصد بهذا الكلام أن نلزم حضرة محرر المرأة الحجة بكلام امام أو قول حكيم مسلم او بكتاب الله وسنة نبيه فانا قلنا ذلك كله فى كتابنا الاول ونظن فيه الكفاية فليراجعه من يريد واصبح لا يليق بنا ولا بغيرنا البحث فى هذا الموضوع من الوجهة الدينية بعد ان قال قاضى قضاتنا كلمته فيه واظهر الحكم الشرعى فى ذلك .

وانما نرد على حضرة مؤلف « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » من الوجهة الاجتماعية والعمرانية بكلام فاضل مصرى هب من بين المصريين يدافع عن الدين وآدابه وعن المرأة وحجابها ويفند مزاعم عدو اتى ديارنا فقال فى الاسلام والمرأة المسلمة وحجابها ما قال مما لم يخرج عما جاء فى كتابى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » فاشرأبت الى ذلك المصرى الاعناق وشخصت له الابصار واعجبت به وبفضله وغيرته . ومدحته الجرائد وقرظت عمله الكتاب واشتهر اشتهار النار على علم .

ولو سأل سائل من هو ذلك الفاضل المصرى الذى عمل كل هذا العمل ودافع كل هذا الدفاع اجبناه انه هو نفس حضرة **قاسم امين بك** صاحب كتابى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » فهو هو الذى دافع عن الحجاب وقال انه دينى وأصل من اصول الادب وانه اعظم حصن للعفة .

وهو هو الذى قال بضعف المرأة عن الرجل وان الرجل رئيسها وسيدها . وهو هو الذى قال انها حرة متمتعة بكل حقوقها وانه لا ينقصها شيء من التحرير . وهو هو الذى قال ان لهـا وظيفة مخصوصة تنتهى عند عتبة بيتها . وهوهوالذى غضب وثار عند ما انكر خصمه اذ ذاك — وهوالدوق داركور الفرنساوى — ما كان للاسلام من المدنية وابرق وارعد حينما رمى ذلك الخصم الدين الاسلامي بما رمى . ثم هو هو بعينه الذى جاء الآن فى كتابيه الاخيرين « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » يردد ماقال ذلك الخصم الذى كان يسخر هو من قوله ويضرب به عرض الحـائط حتى اصبح يخيل للقارئ أن « تحرير المرأة و « المرأة الجديدة » صدى كتاب الدوق داركور أو تعريبه وأن مؤلفهما أصبح هو ذلك الدوق والمعارضين للكتابين هم ذلك المعارض الذى كان يعارض الدوق فى سنة ١٨٩٤ ! ! فتأمل !

فاذا كانت الحالة هكذا فما باله ارغد وازبد وصاح بالويل والثبور وعظائم الامور على كل من خالفه مع اننا معذورون فيما كتبنا لاننا قلنا ما قلناه ولم نختبر القوم كما اختبرهم حضرته ولم نجرب عاداتهم كما جربها اذ هو الذى قال فى رده على الدوق داركور[1] انه لم يقل ما قال الا بعد ان درس اخلاق القوم وعاداتهـم وبعـد ان عاشرهم زيادة عن عشرة اعوام تقضت بين ظهرانيهـم فى بلادهم وفى بلاده وحضر حفلاتهـم وشاهـد مجتمعاتهم ولذلك هو أدرى بهم من غيره وأعلم الناس بأحوالهم ! .

فلا نلام اذاً إن نحن رددنا فى سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٠١ صدى قوله

(١) صحيفة ١٢٠ من الرد على الدوق داركور

فى سنة ١٨٩٤ لانه لم يشر فى الكتابين الحديثين الى انه كان فى رأيه الاول مخطئاً خصوصاً ونحن لم نبلغ شأوه فى الفضل والعلم والتفقه والممارسة والتجارب كما يعلم ذلك من نفسه .ولماذا يؤاخذ المعارضين له إن تأثروا من كتابيه فظهر التأثر على لهجة بعضهم وهو لم يملك نفسه حين قرأ كتاب الدوق بل إنه مرض عشرة ايام كاملة لزم الفراش فيها من هول ما قرأ وسوء ما رأى فيه[١] وقد قدمنا ان الدوق لم يقل شيئاً ازيد مما قال حضرته فليعذر خصومه وليسكن من جاشه فهم كمثله فى الاحساس والشعور !

ولسنا نحفل بما يقوله فينا انصار «المرأة الجديدة» — وان قلوا — فلقد قيل فى حضرة الرادّ على الدوق مثل ما يقال فينا الآن وأزيد . كما اننا لا نكتب طمعاً فى أن ننال تصفيق الجهال وعامة الناس وانما نكتب انتصاراً للحق وخدمة للدين .

وكذلك ان كان كتاب « المرأة الجديدة » وما قبله زادت قيمتهما لان وزيراً عظيماً قرظهما وانتصر لهما فان الدين من جانبنا والحق ظهيرنا وقد انتصر لهما من هو اعظم من وزير ألا وهو اكبر امير فى بلادنا على ما رواه بعض الجرائد[٢] . كما انتصر وينتصر لهما كثيرون من رؤساء البلاد المسلمة الاخرى[٣]

---

(١) انظر صحيفة ٢٨٨ من كتاب الرد على الدوق داركور

(٢) انظر ما جاء بعدد ٢٢ ابريل سنة ١٩٠١ من جريدة اللواء الغراء تحت عنوان « رأى الجناب العالى فى الحجاب »

(٣) جاء في جريدة اللواء الغراء ضمن جملة في محلياتها في عددها الصادر في ٩ فبراير سنة ١٩٠١ ما يأتى :

فليقل فينا محررو المرأة ما شاؤا فالحق يعلو والنور لا تحجبه الغيوم وسحائب الصيف خصوصاً وانا لم نأت في هذه المرة بشيء من عندنا فترمى بالتحامل أو بمثل ما رمينا به في الدفعة السالفة بل انا عمدنا الى الرد بنفس أقوال المردود عليه التي نعربها للقراء حرفياً ليكون الكلام منه واليه ولتكون الحجة أشد الخاماً ! ! فنقول :

١

قلنا ان المرأة أقل من الرجل ادراكاً وحساً وان الرجل راعيها ورئيسها له عليها القيامة والسلطة وحق التأديب وان لها وظيفة مخصوصة يجب ان لا تتعداها والا حصل الخلط والتشويش في الاعمال وانها متمتعة بحقوق وامتيازات لم تنلها زميلاتها الاوربيات وانها يجب ان تتعلم تعلماً مخصوصاً

هذا وقد انتشر خبر كتاب « تحرير المرأة » في جهات الهند واهتم الانكليز ببث قضاياه واذاعة مسائله اهتماماً عظيماً لما وراء العمل به من فائدة لهم وعلم به سلطان ملديفي وبلغه في هذه الايام خبر كتاب « المرأة الجديدة » وسئل عن رأيه في مغزاه فقال :

« اما تعليم النساء المسلمات فقد اصبح من المسائل الحيوية للاسلام والمسلمين »
« بل للشرق والشرقيين ولكنه لو مال عن طريق الشريعة الغراء الى خطة مدنية »
« الغرب الغبراء كان معولا لهدم اركان الاسلام وفأساً لفتح القبور لابنائه ودسهم »
« فيها وهم احياء . أما رفع الحجاب فلا ارضاه لنسائي وبلادي . واما اعطاء المرأة »
« حرية طلاق زوجها فدعوة لا تصدر من معترف بقول الله في كتابه : الرجال »
« قوّامون على النساء . فنسأل الله السلامة . » اه

محدوداً لا يزيد عما يلزمها لترتيب بيتها وتأدية وظيفتها فيه ولتربية اولادها واستشهدنا بما جاء فى الكتب المنزلة من توراة وانجيل وقرآن شريف وبأقوال علماء العمران والتمدن الحديث فى اوربا وغيرها وعلماء المسلمين الاقدمين والعصريين فعارض حضرته ذلك كله فى كتابيه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » وقال بوجوب المساواة بين من لم يسوِّ الله بينهما ! ومن أدرى بقيمة افراد الخليقة من خالقها وصانعها وبارىء نسمتها !!

على ان حضرته هو الذى قال فى رده على الدوق داركور ما يأتى بالحرف الواحد — وما احسن ما قال — من ضمن كلامه على النساء فى الفصل الذى خصصه لهن فى كتابه المذكور[1] :

. . . .

. . . .

« أعترف بأنى عند ماشرعت فى قراءة الفصل الذى خصصه الدوق »
« داركور للكلام على نسائنا ظننت بكل بساطة وسذاجة انه سيذكرهن »
« بكل خير كما هى عادة الدوق الفرنساوى عند الكلام عليهن او على »
« الاقل لا يقول عنهن الا كل حقيقة . »

« ثم تبين لى انى اخطأت فى الفكر إذ صادفت فى هذا الفصل تلك »
« الاغلاط والمبالغات التى أتى بها فى باقى فصول كتابه ولكنى لا ألومه »
« على عدم معرفته حقيقة حالة نسائنا لان ذلك من الامور التى »
« يكون فيها أقل وقوفاً على حقائقها ولا يمكن غير مصرى ان يعرفها »

---

(١) انظر صحيفة ١٠٠ وما يتبعها من كتاب الرد على الدوق داركور

« تماماً ولذلك اتشرف بأن اوضحها للقراء فأقول :

هنا تكلم على المرأة من حيث تركيبها البدنى وطبيعتها ومن حيث انها مثال للزوجات زاهدة فى الحب لا تدرى ما الهوى ثم قال :

« وانه من الخطأ المحض ان يقال ان المرأة فى مصر محبوسة فى »
« المنزل فكل النساء فيها يخرجن فى كل ساعة ليلاً او نهاراً يتفسحن »
« منفردات او جماعات ويتزاورن دواماً ويدخلن حوانيت الباعة لشراء »
« ما يلزمهن ويمشين فى الاسواق ويقصدن اماكن النزهة وفى بعض »
« الاحيان يسافرن وحدهن ! فأين هذه الحالة والصورة الشنيعة التى »
« يبرز فيها الدوق داركور المرأة المصرية حيث قال : لا يمكن أن »
« يجد الناس طريقة اشنع ولا افظع لتعذيب المجرمين عندنا من الحكم »
« عليهم بأن يعيشوا عيشة النساء المصريات . ! ! ![1] »

« وبالجملة فان كل ما نفعله نحن معشر الرجال يمكن نساؤنا أن يفعلنه »
« وهن فى الواقع يفعلنه وكل ما هو جائز لنا عمله جائز لهن كما ان كل »
« ما هو محرم علينا محرم عليهن . فمن ذلك انه محظور على الرجال »
« الاختلاط بالنساء فيظهر لى ان من الطبيعى كذلك ان النساء يحظر »
« عليهن الاختلاط بالرجال . وانى اعيد هنا لهذه المناسبة ان حالة المرأة »
« مساوية فى ذلك لحالة الرجل ومع ذلك لم يقم من الاوربيين واحد »
« اخذته الشفقة على الرجل المصرى وهزته الرأفة فرثى لحاله كما يرثى »
« لحال المرأة إن كانت الحالة تدعو الى الشفقة والمرحمة . . . ! »

(١) اين ما يقوله هنا حضرته مما قاله فى هذا الخصوص بالكتابين الجديدين.

« فلو كتب الانسان ان الرجال فى الشرق اسرى نسائهم وانهن »
« يحبسنهم فى البيوت واذا خرجن لزيارة صاحباتهن لا يدعنهم يذهبون »
« معهن وأن الرجال مبعدون عن جميع مجامع النساء ما كان ذلك أبعد عن »
« الحقيقة مما كتبوه لغاية الآن . »

« ولست ادرى ماذا يصيب الاوربيين حتى يقعوا فى مثل هذا »
« الخطأ الفاضح فى غالب الاحيان . لا شك ان ذلك صادر عن عمى عن »
« الحقيقة وجهل بها منهم ان اردت ان لا ارميهم فى ذلك بسوء القصد . »
« ولعمرى كيف تصل بهم العماية عن الحق الى هذا الحد وبين ظهرانينا »
« الالوف المؤلفة منهم يعيشون بيننا ويختلطون بنا ويجيء بلادنا عدد »
« عظيم من السياح فى كل سنة وكلهم يرون نساءنا فى الطرقات راجلات »
« وراكبات ظهور وفى عربات ومع ذلك كله ترى من بينهم من يقوم »
« ويقول ان النساء محبوسات مستعبدات ! ! »

« ومن يطلع على مؤلفات هؤلاء الكتاب وخصوصاً على كتاب »
« الدوق داركور يخيل له ان نساءنا لا يخرجن الا ومعهن خصى على ان »
« عادة اتخاذ الخصيان التي دخلت بلاد الشرق من دولة الرومان قد »
« كاد يزول أثرها وانى أؤكد انه لا يوجد فى كل مصر خمسون »
« عائلة تصطنع الخصيان على الاكثر لمجرد التباهي بهم والمحافظة على »
« عادة قديمة من عادات الزخرف لا لحراسة النساء كما أن كثيراً منهم »
« يبقونهم من باب الشفقة والمرحمة وحفظاً على خادم ابلى فى خدمة »
« سيده ويستعملونهم فيما يستعملون فيه باقي الخدام . »

« ولقد قابلت مرة خصياً صار حوذياً (عربجياً) لكساد سوق »
« تجارته فعرفته من سيماه ومن هيئته وصوته وسألته لماذا ترك وظيفته »
« التي كان خصص لها فتنهد وقال : لم يبق نساء ياسيدى . ولا شك انه »
« يعنى بذلك ان نساء اليوم يسرن كالرجال !

« هذا وانه من الخطأ أيضاً ان يقال إن النساء المسلمات أشربن »
« فساد الاخلاق والفجور . على انه لو كان القصد من هذا القول ان »
« نساءنا قد تسمع او تتلفظ بعض الفاظ غير لائقة بدون ان تصيح »
« وتظهر علائم الاشمئزاز والاضطراب لسلمنا وقلنا ربما كان ذلك صحيحاً »
« وان هذا نتيجة سوء تربية او عادة سيئة . »

« وانى لأعلم ان النساء الاوربيات يعرفن ان يتظاهرن »
« بالاستحياء والخجل متى اردن وهن يردنه فى الغالب لانه مما يزيدهن »
« حسناً . ولكن من غير المعقول ان نحكم على حالة آداب امة ببعض »
« ألاعيب قره قوزية غير لائقة فان من العادات الشرقية ان الرجال »
« والنساء يسمون كل شيء باسمه ولا يستدل من ذلك اننا احط من »
« الاوربيين الذين يقولون كل مانقوله ولكن ببعض مواربة ومداراة ! ! »

« وفى الحقيقة لو قارنا بين الحالة التى اقرت عليها المرأة المسلمة والحاله »
« التي عليها المرأة الاوربية لما وجدنا هذه تمتاز على تلك بشيء فان المرأة »
« فى الشرق وان كان لاعمل ولا تأثير لها فى الخارج ووظيفتها تنتهى عند »
« عتبة بيتها فان لها فيه كل سيطرة وكل سلطة مطلقة . »

« نعم ليس عندنا من امثال هؤلاء النساء المشتغلات بالدسائس »

« والسياسة والمدعيات العلوم والمعارف . ولكن هل فى ذلك ضرر ؟ اقول »
« لا . لانى حتى بدون ان اقول بضعف المرأة عن الرجل معنوياً كما »
« ذهب اليه كثير من الفلاسفة الاوروبيين كسبنسر ولومبروزو »
« وبدون ان اتطرف تطرف شامفور الذي يقول ان المرأة ليست »
« مستكملة تركيب المخ مثل الرجل . . . لست ادرى ماذا تستفيده النساء »
« من اشتغالهن باشغال الرجال ! بل بالعكس اشاهد نصب عيني مايخسرنه »
« من ذلك : فانه فضلا عن أن ذلك يصرفهن عن وظيفتهن التي يظهر »
« أنهن خلقن لها فان اشتغالهن باشغال الرجال لايزيد الهيئة الاجتماعية »
« نفعاً ولا يزيدهن حلاوة ولا جمالا . والحقيقة ان الامر بالعكس »
« فانه يؤثر فيَّ منظر أمّ حنون على اولادها كما يلذ لى رؤية امرأة »
« تحسن ترتيب بيتها ولكنى لا اتأثر مطلقاً عند ما الاقي فى الطريق »
« امرأة تهرول وتحت ابطها كتاب وعند ما تقابلني تضرب على كتفى »
« وتحييني بقولها : كيف حالك يا عزيزى ! ! قلت لا اتأثر ولكنى فى »
« الحقيقة احس فى نفسى بشعور وجدانى لايبعد عن شعور الاستكراه »
« النفسانى والاشمئزاز ! ! »

« وكذلك ماذا يقول الانسان فى النساء اللاتى حرفتهن الاشتغال »
« بالتحرير والسياسة هل هن نساء حقيقيات ؟ وما هى الجامعة بين نساء »
« مثلهن قرأن كل شيء ورأين كل شيء وعملن كل شيء فلا يتأثرن ولا »
« يخجلن من شيء وبين تلك الملائك اللواتى تكفى نظرة او كلمة منهن او »
« لمسة من يدهن لانهمال الدمع من عيوننا واضطراب القلب منا »

« لذة وسروراً . ؟ »

« على انى وان كرهت التبحر فى العلوم للنساء أرى لزوم تعليم »
« النساء تعليماً يناسب حالتهن . وانى لآسف على جهل النساء »
« المصريات فانه من الواجب ان تتعلم المرأة ما يلزمها لتربية اولادها على »
« مبادئ الفضيلة والادب وفهم ما يحيط بها من الاشياء بل ينبغي ان »
« تستعد للمجاوبة على تلك الاسئلة التى لا نهاية لها مما اعتاد عليه الاولاد »
« وهم صغار . وانى اتمنى ان ينتشر هذا التعليم ويتناول العموم اذ بدونه »
« لا يمكننا ان نؤمل ان يكون لنا فى المستقبل ابناء مربون التربية الحقة »
« وانى من هذه الوجهة اوافق كل الموافقة الدوق داركور واعترف »
« بانحطاط المرأة الشرقية عن المرأة الاوربية فى العلم ولكنه انحطاط »
« منشؤه الجهل وعدم تثقيف العقل ليس الا كما ان عدم الترقى فى العلوم »
« قد أخر الرجل المصرى عن مثله فى اوربا . فلا يصح ان يقال ان هذا »
« الانحطاط منشؤه الدين الاسلامي أو العادات المصرية فأصله عند »
« النساء كما قلت اهمال تعليمهن وهذا الاهمال لم يكن دائمياً بل هو »
« طارئ يدل على ذلك وجود عدد عظيم من النساء اللاتى اشتهرن فى »
« صدر الاسلام بالشعر والانشاء وهذه الجهالة لا بد من انها تحول »
« قريباً الى ضدها لو قسنا المستقبل على ما نشاهده الآن من النهضة »
« الحالية . ومن ذلك يتضح انى وان وافقت الدوق داركور على انحطاط »
« المرأة الحالية فى التعليم فانى اخالفه فيما يراه من ان هذا التأخر والانحطاط »
« سببهما النظام العائلى عند المسلمين . »

« هذا وقد سبق انى قلت ان لنسائنا مطلق الحرية فى كافة افعالهن »
« وأزيد الآن اننا لو نظرنا من جهة أخرى للحالة التى جعلتهن عليها »
« الشريعة الاسلامية الغراء لوجدناها احسن ما يمكن ان تطمع فيه نفس »
« امرأة فانها وهى زوجة تتمتع بكافة حقوقها المدنية ثم هي مكلفة شرعاً »
« واهل للتصرف بكامل اوجه التصرفات التى تقتضيها ادارة املاكها ولها »
« بيعها بدون ان يكون هناك ادنى احتياج لاذن من المحكمة او لتصريح »
« من الزوج . وهذه الاهلية تابعة لحريتها الشخصية وسلطة الزوج »
« عليها فى ذلك ليست الا سلطة معنوية . فالمرأة المسلمة لا تطيع إلا رائد »
« عقلها فيما تريد ان تجريه من بيع او شراء اوهبة او قبض او مقاضاة الى »
« غير ذلك . بخلاف المرأة الفرنساوية مثلاً التى لا يمكنها ان تعمل عملاً »
« ما من هذه الاعمال الا اذا رضى به سيدها والمسيطر عليها فى اعمالها »
« ورخص لها بعمله . »

« ولا خلاف فى ان المرأة الفرنساوية عند ما تتزوج تصبح انساناً »
« غير تام اذ ترجع لعهد الطفولية وتعود عليها الولاية لما تقضى به عليها »
« قوانين بلادها من عدم الكفاءة والاهلية وتضربها بنوع من الاسر »
« والاستعباد *CapitisDiminutio* وتحرمها من التصرف فى اموالها »
« وادارة املاكها بنفسها . »

« تلك هي امور لا يمكن الرجل المسلم ان يفهمها كما انى لم افهمها انا »
« ايضاً رغماً عن جميع الادلة والبراهين التى كان يسردها علينا معلمنا فى »
« مدرسة حقوق مونبلييه بفرنسا لتصويب هذا الفكر ولمحاولة إثبات »

« انحطاط درجة المرأة لهذا الحد . وانى اعترف بان كل ما أورده من »
« الادلة فى هذا الباب لم يقنعنى ولا يمكن ان يقنع الا أزواجا لهم حظ »
« فى استحسان هذه الحالة . ! »

« وعلى ذلك فليس بعجيب ان يكون للنساء الاوربيات الحق فى »
« ان يزعمن ان الرجال هم الذين عملوا القوانين وانهم سنوها على ما يرضيهم »
« لا على ما يرضيهن . ولا لزوم لان نقول اننا نتمنى نجاحاً تاماً لبعض »
« النساء اللاتى قمن بشجاعة فائقة يجاهدن فى سبيل المطالبة بحقوقهن »
« ويطلبن الخلاص من هذه الحالة التعيسة التى هن عليها والحصول على »
« جميع حقوقهن المدنية والتحرير من هذا الاستعباد والاسر . »

« وزد على ذلك انه عندنا لا يطلب من البنت كي تحصل على »
« زوج كفؤ لها إلا ان تكون متحلية بطبع حسن وبالفضيلة . فمتى »
« حصلت على ذلك وكانت خلقتها مناسبة امكنها ولو كانت فقيرة أن تجد »
« لها زوجاً من احسن الازواج بل ممن لم يكن يخطر لها على بال . »

« وقد اسلفت ان العبرة عندنا ليست بالحسب ولا بالمال ولذلك »
« ليس من النادر حصول الزواج بين رجل من اعلى الطبقات وامرأة »
« من ادناها . وليس من عاداتنا ان نسأل عن مقدار ثروة المرأة او ان »
« نساوم اباها على مقدار ما يدفعه من المهر لان الرجل عندنا هو الذى »
« يدفع المهر لتجهز به الزوجة . وهى وان بلغت ثروتها القناطير »
« المقنطرة من الذهب غير مكلفة بشىء من النفقة إذ الزوج هو »
« المفروض عليه القيام بكامل النفقات لزوجته ولاولاده وعلى ذلك لا »

« يستغرب الانسان اذا وجد لكل امرأة عندنا زوجاً بخلاف »
« الحاصل فى اوروبا حيث ان النساء الباقيات بدون زواج قد ملأنَ »
« البيوت . »

« ومن اعظم الاشياء التى اثرت علىّ اشد التأثير واندهشت لها لما »
« سافرت لفرنسا اول مرة مشاهدتى نساء يناهزن الخمسين من العمر »
« يدعونهن باسم «مدموازيل» لكونى لم اعهد مثل ذلك بمصر. وفى الحقيقة »
« ان عيشة مثل هؤلاء النساء لا بد ان تكون فى غاية من التعاسة »
« والنكد : فكم اجرين من الدموع وبكين حظهن ! وكم اضعن من ملاذ ! »
« وكم من حقد وحسرة فى قلوبهن البائسة ! وكم فى تلك القلوب المتحسرة »
« من اميال ملأتها ! اذا تفكر الانسان فى هذه الامور والاحوال تساءل »
« قهراً عن سبب تغاضى الرجال فى اوروبا عنهن وتفانيهم فى حب ذواتهم »
« وقال لماذا يحملون النساء ما لا يطقنه ويتقاضونهن مهوراً لا يمكنهن »
« اداؤها ؟ ومن اين لهن المال وقد سدوا فى وجوههن جميع سبل التكسب »
« ومنعوهن من جميع المناصب والحرف والاعمال ؟ »

« فهل هذه الامور معقولة وتنطبق على مبادئ الانسانية »
« والمروءة ؟ اقول الحق : انى كلما تأملت لشريعتنا وأمعنت النظر فى »
« أصولها واطرافها ازددت حباً مقيقيا فيها : فهي وحدها التى امتازت عما »
« عداها من الشرائع بتنظيم الامور وتدبيرها بطرق حكيمة عادلة . وهى »
« وحدها التى انفردت بحماية الضعيف . وهى ايضاً الشريعة التى قدرت »
« ان توفق بين ما شرعت من الاحكام ومقتضيات الطبيعة ونواميسها »

« وهى الشريعة التى منعت ان يسقط الزواج الى درجة السخرية والهزء »
« وان يصبح عملاً تجارياً يضارب فيه ! »

« وفى الختام ليس لى الا أن اضيف كلمة واحدة : وهى ان شريعة »
« مبنية على مثل حديث « الجنة تحت اقدام الامهات » ليست وان قالوا »
« عنها ما قالوا وشنعوا عليها شريعة وحشية ولا يمكن ان يقال عنها انها »
« تضطهد النساء وتقضى بامتهانهن واسترقاقهن . » اه



قلنا ونقول ان الحجاب شرعى يأمر به الدين وانه اعظم حصن للعفة وان الله اختار لكل دين خلقاً وجعل خلق الاسلام الحياء وان النظر بريد الزنا والرؤية اصل التعلق والفتنة وان الاختلاط بين النوعين سبب الشقاء والبلاء وجالب العناء وان مثل الرجل والمرأة كمثل النار والبارود لا يلزم ان يقترب احدهما من الآخر والا احترقا وان التربية كيفما عظمت لا تقوى على صد تيار الهوى متى تهيأت اسبابه وتحكم سلطانه . وقلنا اننا تهاونا فى امور ديننا وتساهلنا فى كل شيء فحدنا عن الطريق السويّ وصراط الهدى واننا لو اردنا الرجوع الى ما كنا عليه وجب علينا ان نسير كما سار اوائلنا وان نبني مثل ما بنوا وأن نعيد مجد الدين بأن نأتمر بأوامره وننتهي بنواهيه وان نربى اولادنا على فضائله ونغرس فيهم أصوله فجاء كتاب «المرأة الجديدة» منكراً مدنية الاسلام الاولى مدعياً انه لم تكن فى وقت

من الاوقات مدنية اسلامية تامة يجب الرجوع اليها[1] وان منتهى ما وصل اليه البشر من الكمال والفخار هى المدنية الغربية الحديثة فيجب العمل للوصول اليها كما يجب السير على منوالها كيفما كانت مخالفة لاصول الشرائع وأنه حتى لو كان الحجاب اصلاً من الدين أو لو صح ان المسلمين استعملوه فقد أصبح لا يليق استعماله الآن[2] اذ لكل زمان حكم ولكل عصر دولة ورجال وانه يجب علينا ان نقلد الفرنج فى كل شيء ونتزوج مثل زواجهم ونعلم مثل تعليمهم ونربى مثل تربيتهم[3] مع ان حضرته هو الذي قال فى الرد على الدوق داركور ما يأتى تعريبه فى الفصل الذى تكلم فيه عن الحب ودواعيه واليك ما قال :

---

(١) جاء فى صحيفة ١٨٠ من كتاب المرأة الجديدة ما يأتى :

« بقى علينا ان نلتفت الى التمدن الاسلامي من جهة الآداب . يعتقد اهل عصرنا ان المسلمين السابقين كانوا حائزين لجميع انواع « الكمالات الاخلاقية الصحيحة » وهو اعتقاد غير صحيح او على الاقل مبالغ فيه . . . . »

(٢) جاء فى صحيفة ١٨٣ من الكتاب المذكور : « متى تقرر ان المدنية الاسلامية القديمة هى غير ما هو راسخ فى مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يحبون ان تكون عليه لا بما كانت فى الحقيقة عليه وثبت انها كانت ناقصة من وجوه كثيرة فسيان عندنا بعد ذلك ان احتجاب المرأة كان من اصولها او لم يكن . وسواء صح ان النساء فى ازمان خلافة بغداد اوالأندلس كن يحضرن مجالس الرجال او لم يصح فقد صح ان الحجاب هو عادة لايليق استعمالها الآن . . . »

« ونحن لا نستغرب ان المدنية الاسلامية اخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها فليس خطؤها فى ذلك اكبر من خطئها فى كثير من الامور الاخرى . . . »

(٣) انظر الحاشية (١) صحيفة ١١و١٢و١٣ من هذا الكتاب تجد بعض ما جاء فى هذا المعنى بكتاب المرأة الجديدة

« دواعى الغرام[١] »

« ان المرأة والرجل عندالغربيين فى اختلاط دائم مع بعضهما وتلازم »
« مستمر وذلك بالطبع داعية التعارف وسبب فى تأكيد روابط المحبة »
« والائتلاف والتعلق . »

« ولا غرابة فان اجتماع الرجال بالنساء فى مجتمع واحد مما يزيد هذا »
« المجتمع بهجة وانساً إذ أينما حلت المرأة حل كل اللطف وانجذبت القلوب »
« وتمالأت النفوس . ويجد الانسان على الدوام لذة عظيمة من وجوده فى »
« هذه المجتمعات التى فيها تكثر مغازلته للنساء فلا يبرحها الا وعنده اثر »
« منها بانشراح فى الصدر وفرح فى القلب . ولقد اختبرت كغيرى هذه »
« اللذة وهـذا الانشراح الزائد الذى يشـعر به الانسان خصوصاً متى »
« وجد فى حضرة امرأة جمعت بين محاسن الخلق ولطائف الخلق وذكاء »
« العقل . ولما كان يغلب على طبعى الحياء كنت ارتبك فى امري كلما »
« وجدت فى مثل هذه الظروف حتى انه يصح ان اقول انى لم اظفر »
« ببغيتى تماماً فى تلك المجتمعات ولكن ذلك لم يمنع قلبي من ان يكون له »
« ولع بهذه المجامع التى يتبادل فيها كل انسان دواعى الانس والسرور ! »

« ويخيل للانسان ان من العادات المقررة عندالغربيين أن من منح »
« نعمة او قسم له حظ من الحظوظ لا يصح ان يختص بما نال وحده بل »
« يجب عليه ان يشرك غيره فيه وكذلك ان الرجل المتزوج بامرأة »
« جميـلة يصير موضوع انتقاد عام ان حاول الاستئثار بها ولم يسمح »

(١) انظر من صحيفة ١٤٤ لصحيفة ١٥٤ من كتاب الرد على الدوق دار كور .

« لها بالاشتراك هى ايضاً فى مؤانسة اصحابه وخلانه ! ! »
« ومن المعلوم أن هؤلاء الاصحاب يمازحون امرأة صاحبهم هذه »
« ويضاحكونها ويجتهدون فى استعطافها وجذب قلبها اليهم ويواظبون على »
« استمالتها واستهوائها وزوجها يرى ذلك ولا يعبأ بما يفعلون بل يهمل »
« امرهم فان منهم من هم اصحابه من الصغر ولا شيء فى الامر الا انه مجرد »
« مزاح ومضاحكة بسيطة ! ! »
« وفى هذه الاثناء تراه هو ايضاً يأتى مثل هذه الامور نفسها »
« مع نساء ازواج آخرين حفظاً للتكافؤ فكل زوج يأخذ ويعطي حتى »
« لا يحرم واحد من التلذذ والتمتع ليكون السرور متبادلاً والانس »
« محبوك الطرفين !! »
« ولكن هل يمكن القطع بان هذه العلاقات يتبعها على الدوام »
« ارتكاب المعصية او اتيان منكر ؛ هذا مما لا يصح الجزم به فى »
« المجموع . إذ مما لا نزاع فيه انه قد توجد بين هذه النفوس نفوس أبية »
« فاضلة تحافظ على عفتها وتحفظ قوى ارادتها ولكن كم بجانب هذه »
« النفوس الشريفة من نفوس غيرها تزل وكم من شرف يجرفه هذا »
« التيار وكم من قلوب تستهويها هـذه المداعبات وتصيبها سهام تلك »
« الملاعبات ويقهرها سلطان الشهوات ! ! »
« ولقد صدق من قال ان المرأة ربة حسن وجمال فيلزم ان تحب »
« وتعبد ولا تكون عبادتها الا ببث لواعج الحب والالتياع ولكنها ربة لا »
« كربات الاقدمين اللاتى قست قلوبهن فهى كالحجارة او اشد قسوة »

« لا يسمعن لاحد نداءً ولا يعطف قلوبهن دمع باك ولوعة شاك بل هي »
« في اغلب الاحيان رحيمة بالمحبين لا ترد استغاثة ولا ترفض دعوة داع !! »
«وغني عن البيان اننا معشر الرجال في الحقيقة خطفة قلوب وسلابة»
« ألباب – واني استميح ابناء جنسي العذر في هذا الكلام – فان الرجل »
« منا لا يترك باباً يوصله لغرضه من استهواء فؤاد من مال لها والاستحواذ »
« عليها الا طرقه وان استدعى ذلك ما استدعى من التحايل او الكذب »
« او ارتكاب الدنايا ولو لم يكن مدفوعاً الى ذلك بسلطان الشهوة وقوة »
« الغرام ! وقد يستقبل الصديق صديقه في بيته احسن استقبال ويؤاكله »
« ويبالغ في اكرام مثواه ويحسن اليه فلا يكون منه الا ان يقابل هذه »
« المكارم كلها بخيانته في اعظم شيء شريف لديه ويصيبه في اخطر »
« مقاتله ! يقدم الانسان على هذا العمل السافل بدون ان يفكر لحظة في »
« شر عاقبة ما هو مقدم عليه ولا مقدار ما يصيب به شرف غيره بل »
« تراه دائماً مقبلا على الامر لا يردعه عنه زاجر ولا يزعه وازع وكلما »
« اعترضه عائق ازداد اقداماً وحمة للوصول لغرضه ولاحراز اكليل »
« الفوز والنصر وبئس النصر هو حيث ان غايته اتمام امر هو كل الخسة »
« والسفالة !! »

« اذا علم ذلك فهل يتأتى تقريب الرجل من المرأة وتسهيل »
« اختلاطهما بدون المخاطرة بصفو العائلات والعبث بالآداب والاعراض ؟ »

« فجواب ديننا القويم على ذلك « ان لا » . ولذلك امرنا بالحجاب»
« بأن تكون مجامع الرجال خاصة بهم ولا يجوز ان تحضرها امرأة »

« اجنبية عنهم كما امر النساء ان يجتمعن ببعضهن وخدهن ولا يحضر »
« رجل فى مجتمعاتهن وقد قصد الدين بذلك أن يحفظ كلاً من الرجال »
« والنساء من نتيجة ضعفهما وان يسد ابواب الفتنة والمفسدة ويستأصل »
« بذلك الداء من جذوره لانه اذا قيل ان الفرصة تعلم السرقة فانها تقود »
« كذلك الى الزنا . »

« ومن المؤكد ان الحب الفجائى يكاد يكون معدوماً فى الحالة »
« الاعتيادية حيث انه فى الغالب لا يتولد التعلق والحب الا من اعتياد »
« النظر والاختلاط وكثرة المقابلات التى تجر طبعاً الى التحادث والتعارف »
« والائتلاف . وكلما زادت المقابلات وتواترت تمكنت دواعى الهيام وصار »
« الانسان عرضة للوقوع فى أشراكه وتحمل اهواله : فما الرجل والمرأة الا »
« كالكبريت والبارود كلما قربتهما من بعضهما ندر ان لا تشتعل النار ! »

« نعم انه يجمل بالانسان ان لا يسىء الظن بهذا الجنس اللطيف وهو »
« النساء وان يفكر فى انهن قادرات على قهر طبيعتهن وكبح اميالهن »
« والذود عن حوض عرضهن ولكن ليست كل الحصون التى يحاول »
« الانسان ان ينالها بصعبة المنال مادام الجهد مبذولاً وبعد كثرة المقاومة »
« وشدة الامتناع يأتى طبعاً وقت التسليم ويحين الحين وما هى الا امور »
« مرجعها الصبر والتأنى واستعمال الحيل وانتهاز الفرص وما يخيب فيه »
« رجل يدركه بسهولة رجل غيره وما العبرة الا بكيفية اختيار الوقت »
« والمناسبات ليس الا . »

لا يؤنسنك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا

عسر النساء الى مياسرة والصعب يمكن بعد ماجمحا[1]

« وزد على ذلك ان عادات بعض الطبقات عند الغربيين كأنها »
« جعلت قصداً لتسهيل هذه الحال وتقريب هذا المنال فترى اهل هذه »
« الطبقات يتفننون في ضروب التشويق والترغيب فى هذا المضمار »
« ويجدّون فى حمل الناس على المسابقة فيه كما يجد التاجر فى ترويج بضاعته ! »
« فتراهم قد سهلوا كل طريق يوصل للمراد فأنشأوا اماكن للنزهة والخلاعة »
« يخرج اليها المتحابون بحيث يستترون عن اعين الرقباء واوجدوا حمامات »
« بحر يذهب اليها أولئك المتحابون للاستحمام فتأتى المرأة بثياب تشف »
« عما تحتها تسبي الناظر وتستسلم ليد محبوبها ليعلمها السباحة وتفننوا فى »
« اقامة حفلات ومآدب تدور فيها الكؤوس فتلعب بالرؤوس وتختطف »
« النفوس وتحل عقدة اللسان وتظهر مابالفؤاد من لوعة واشجان ! وفى »
« اثنائها تتشاغل وتتغامز الارجل من تحت المائدة ! ولا تنس »
« المراقص حيث تكون المرأة فيها مكشوفة الصدر بارزة النهد عارية »
« الرقبة سافرة الوجه غير مستورة الكتفين والذراعين تعبق الارجاء »
« بروائحها العطرية فتأخذ بمجامع قلب من يرقص معها فتهيج عواطفهما »
« ولا يطيق الراقص ان لا يضم ذلك الخصر فى هياج الاخذ والرد ! لاشك »
« ان كل هذا يروق النظر ويلذ الفؤاد ويلين له الجماد ولكنه مر المذاق »
« على المتزوج المسكين ! لان الامر لايخرج عن واحد من اثنين : اما ان »
« تكون المرأة محبوبة لدى زوجها أو غير محبوبة : فان كان يحبها فلست »

---

(١) هذان البيتان لبشار بن برد ولمناسبتهما للمقام اثبتناهما هنا

« أفهم سبب عدم غيرته عليها لهذا الحد وعدم الاهتمام بهذا الذى يحصل »
« فان الغيرة من علامات الحب ولوازمه فترى المحب غيوراً على محبوبه »
« من كل شيء بل من لا شيء ولذا كانت حياة المحب مشوبة بالنكد والاكدار »
« وهى اشق حياة على الانسان ! »

« وان كان لا يحبها فلا اقل من ان يحب نفسه وحبه ذاته يقضى »
« عليه بالحرص والدفاع ما داما مرتبطين بالزوجية فلا يقبل أن يضحك »
« عليه غيره أو أن يكون زوجاً لامرأة تتخذه هزؤاً وألعوبة تريه »
« ضروب الخيانة والاستهزاء ألواناً واشكالاً أو أن يرى نفسه غريباً في »
« بيته وغيره الاجنبي عنه رب ذلك البيت . ! »

« تلك أمور تستفز شرف النفس وتبعث اشد الازواج مسالمة »
« واعتدالاً سواء فى الغرب أو فى الشرق على الحركة والغيرة وعدم »
« السكوت . »

« ويمكننا ان نحقق ان المبارزات وجرائم القتل التى تتأتى فى البلاد »
« الاوربية بسبب النساء لا يكون الباعث عليها فى الغالب حب الرجل »
« لزوجته بل ان عزة النفس وعدم السماح بوصمتها هما اللذان يسلحان »
« ايدى اولئك الازواج الذين كثيراً ماتكون قلوبهم ساكنة فى جهات »
« اخرى غير زوجاتهم ! »

« وبعكس العادات الغربية التى يظهر انها وضعت لتعميم اللذات »
« فى هـذا العالم — عالم النكد والشقاء — والاكثار من دواعيها »
« فيـه بنيت عاداتنا — معشر الاسـلام — على مبادئ الفضيلة »

« والعفاف ولا يخفى انهما عدوّا اللذات والرفاهية والترف فلا يمكن احداً »
« ان يجمع بين المتضادين لان الجمع بينهما محال فاخترناهما على التمتع بهذه »
« الملذات . وها هو قد مضى على المسلمين زيادة عن الف وثلثمائة عام »
« وهم متبعون هـذا الطريق مفضلون الفضيلة على شهوة النفس فصار »
« ذلك عادة فيهم جبلية لا ينفكون عنها . »

« ومن الغريب ان الانسان قد يرى بين المسلمين من يتزندق او »
« من يعتريه ضعف في يقينه او شك في ايمانه بل منهم من قلد الفرنج »
« تقريباً في كل عاداتهم ولكن لم يوجد ولن يوجد قط من بينهم من »
« يرضى بأن يكون زوجاً على حسب الطريقة الغربية والعادات الافرنكية »
« ولعلهم منتظرون لقبول ذلك أن يفشو مبدأ الاشتراكيين بين العباد »
« ويسود في كل البلاد ويتناول الاعراض كما يتناول الاموال ! »

« فاننا جميعاً نحس ونشعر بأن لنا شرعاً — وهو الدين الحنيف — »
« متكفلاً باحكام روابط الزوجية . اذ ما دام نساؤنا لا يعرفن غير »
« رجالهن ورجالنا لا يعرفون غير نسائهم فمن النادر أن لا يتفق الرجل »
« وزوجته ما دامت الاخلاق قويمة : فلا شيء يكدر صفو العائلة ولا »
« خوف على هذا الوفاق متى حصل من ان يعتريه انحلال لعدم وصول »
« المؤثرات الخارجية التي تثير الانشقاق الينا . وهذه حقيقة بديهية يجب »
« ان ينتهي بالغربيين الحال الى ان يسلموا بها كما يجب أن يعترفوا لنا »
« ايضاً بأننا حين زواجنا نقدم الى زوجاتنا قلباً اطهر ونفساً ازكى مما يقدم »
« الغربيون لنسائهم : فان الزواج عندنا هو مبدأ الحياة النوعية ومبدأ »

« التلذذ والتمتع بخلافه عندهم فهو ختام ذلك . »

« وشتان بين حالة غربيــة ترى زوجها فى صبيحة جلوتها ساكن »
« الحواس مخلداً للسكون والراحة كأنه بادية عليه علائم الرغبة عنها وحالة »
« مسلمة ترى من زوجها كل ما فيه سعادتها وهناؤها . »

« ولما كانت العادة عندنا اننا لا ندخل الحانات ولا القهاوى ولا »
« اماكن الرقص ولا الملاهي (التياترات) استعضنا عن كل هذه الملاذ »
« بوجودنا بين نسائنا واولادنا مخصصين للاستئناس بهم اوقات فراغنا . »

« ومع ذلك كله فهل جميع الازواج فى مصر مثال العفة والامانة . ؟ »

« الجواب لا . انما غاية ما أؤكده وأكرره انه ان كانت الخيانة فى »
« البلاد الاوربية هى الاصل فهي فى بلادنا الاستثناء . ولا يؤخذ من »
« ذلك أن الازواج عندنا اشد عزيمة وأقوى ارادة مما هم فى أوربا لان »
« الرجال والنساء الذين يقدرون — فى البلاد الاوربية — على الخروج »
« من معممة هذه الحرب العوان القائمة بين شرفهم ولذتهم بدون أن »
« يصيبهم أذى هم بدون شك اعظم الناس منزلة واسماهم مكانة . ! ! » اهـ



قلنا ونقول ان آدابنا فى الشرق كانت محفوظة واعراضنا مصونة الى ان دهمنا الاجانب بخيلهم ورجلهم واختلطنا بهم وتوجهنا الى بلادهم وجاؤا بلادنا بالتغلب اوللتجارة فادخلوا فى بلادنا من مسميات مدنيتهم الغربية ما ذهب بتلك الآداب أو كاد يذهب بها تماماً وارتقت حاجياتنا وغرتنا تلك

الظواهر الخلابة فأصبحنا كما نحن اليوم فى حالة يرثى لها العدو قبل الصديق . كل ذلك لم يكن لولا اختلاطنا بالاجانب وتقليدنا لهم فى كل مايضر لا ماينفع تقليداً اعمى فصرنا لا نتقدم خطوة نحو المدنية الغربية الا تأخرنا خطوات عما كنا عليه من الفضائل . وذكرنا ان المدنية الغربية التى يترنم بذكرها بعض المتفرنجين ويظنها منتهى الكمال قاتلة للفضيلة لاهم لها الا إمتاع الحواس بملاذ دنيوية وارضاء تلك الشهوات البهيمية فعارض حضرة صاحب كتابى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » كل ذلك وقال ان منتهى ما وصل اليه الانسان من الكمال هى المدنية الغربية وان اللازم تقليد الفرنج فيها والتمسك بها ولو كان من المحقق المرور فى جميع الادوار التي قطعتها وتقطعها النساء الاوربيات حيث ان نتيجة التمدن هى سوق الانسانية فى طريق واحدة . وزاد على ذلك اننا متحاملون أوجاهلون الحقيقة . ونحن لا يسعنا بازاء هذا القول الا أن نقول لكل من قرأ كتابيه الحديثين تعالوا ايها القراء واسمعوا ماذا قال حضرة مؤلف هذين الكتابين عند مارد على الدوق داركور فى سنة ١٨٩٤ واحكموا بعد ذلك بين القولين ولا تملوا فالموضوع مهم والحالة داعية والظروف قاضية . قال : (١)

الاداب

« ان آداب كل قوم تختلف باختلاف طرق التربية وباختلاف »
« الدين والعادات بحيث لا يمكننى ان اصدق ما قالوه لى فى المدرسة »
« من وجود آداب واحدة لعموم الناس اذ يكفي الانسان ان يعبر التفاتة »

(١) انظر من صحيفة ١٨٩ لغاية آخر الفصل المخصص للكلام على الآداب

« الى عالمنا هـذا الدنيوي ليتحقق انه توجد آداب واخلاق من جميع »
« الاشكال والالوان فآكل اللحوم وآكل النباتات والموتانتوت »
« والانكليزي واليهودي والبوذى لكل منهم عادات وآداب تختلف »
« عن عادات وآداب الاخر بل ان المجتمع الواحد قد تجد بين افراده »
« اختلافاً كبيراً فى آدابهم واخلاقهم . فانك ترى مثل راڤاشول يعتبر »
« حق الملكية مثلاً سرقة واختلاساً من مجموع الهيئة الاجتماعية على أن »
« المتمول صاحب الملك يعتبره حقاً مقدساً له وهكذا ! فلا غرابة اذاً »
« ان خالف المسلمون فى الآداب المسيحيين وباينوهم فى طرق »
« المعيشة وفهم واجبات الحياة . فان المسلم قبل كل شيء يعتقد ان متاع »
« الدنيا قليل وأن لا سعادة الا السعادة الابدية فى الدار الآخرة فيتعلق »
« بها قلبه ويبيت يحلم بها ويفضلها على جميع الملاذ الدنيوية التى يراها بعينه »
« وبالجملة فان المسلم لا يهتم بتلك الامور التى تستهوى الاوربى وتخلب »
« لبه كما أن تلك المآكل الشهية والمناظر البهية والملاذ الدنيوية التى لها »
« الشأن الاكبر فى حياة الغربيين ليس لها كبير سلطان على نفسه . »

« اذ المسلم كما قدمنا لا يجرى وراء تلك السعادة الدنيوية بل انه »
« يعتقد ان لا سبيل للسعادة فى هذه الدار . ولهذا تراه يحصر جميع آماله »
« فى تلك الحياة الاخرى التى يرى فيها السعادة التامة الحقة ويحتقر المال »
« كما يحتقر المناصب والرتب التى يعتبرها جميعها ظلاً زائلاً وملاذ خداعة »
« جعلت لتضل المؤمن عن الطريق السويّ والصراط المستقيم ان هو »
« اتبعها وانقاد اليها وهـذا هو السر فى ظهوره دائماً بمظهر السكون »

« والوقار والتفكير . »

« وهو يخاف ان يتقلد المناصب لما يعلمه من انه سيحاسب »
« حساباً دقيقاً على جميع اعماله فيها ويفر من الدنيا ويكرهها لانه »
« يعدُّها فتانة غدارة قد تصيد قلبه بملاهيها ونضارتها وضروب فتنتها »
« فيقع فى اشراكها ولا يخلص من نارها . وهو لا يميل للاثراء لانه »
« يلزمه قبل كل شيء التحقق من ان طرق الكسب مشروعة شريفة كما »
« انه فى باطن الامر يحتقر هذا الذهب الغرار ولذلك تجده يصرفه بلا »
« اسف عليه . فكم من مسلم افنى ثروته فى مساعدة غيره ! ! وأيُّ دليل »
« يقام على ان لا قيمة للدينار عند المسلم اقوى من ان ننظر لحالة المسلمين »
« فى هذه الايام فنجد منهم الكثيرين يستدينون بالربا ولكنى لا اعرف »
« منهم واحداً يقبل ان يعطي بالربا . ! »

« هذا وفى اعتقادي وان صعب على غيرى تصديق ذلك ان الحاجة »
« الى النساء عند المسلمين قاصرة على قضاء الشهوة ليس الا . بحيث انهم »
« لا قبل لهم على تلك الوسائل الغرامية والامور التى تفنن فيها الاوربيون »
« وترقوا فيها الى ان جعلوها فى منزلة فن من الفنون الشهيرة بالبلاد »
« الغربية ! وبما ان الكلام قد انجرّ بى لهذا الحد أرانى مضطراً لأن »
« اذكر كل ما بفكرى فى هذا الخصوص من ان المسلم الذى يبتليه الله باتيان »
« منكر لا يمكنه كيفما بلغت الحالة معه ان يتبجح تبجح غيره او ان يخلع »
« ثوب الحياء بالمرة بل تراه يحتفظ على نفسه لحد محدود حتى لا يقع فى »
« مهواة السفالة والتطرف . ! ! »

« ولقد قال احد الشعراء المعدودين ان لكل امرئ فى قلبه »
« شيطاناً نائماً . نعم ان هذا حقيقي وحاصل خصوصاً فى اوربا اذ يرتكب فيها »
« من الدنايا ما تنفر عنه نفس المسلم وتتخذ شباك وحيل لا يرضاها لنفسه ! »

« لذلك كان المسلم على وجه العموم عفوفاً زاهداً واذا كتب عليه »
« الوقوع فى امر منكر لا يتعدى الطريق الطبيعي ولا يتفنن فيه . »

« اذا علم ذلك فليت شعرى كيف تسنى للدوق داركور الزعم بأن »
« الدين الاسلامى يدعو الى الشهوات البهيمية . ومن العجيب انك ترى الدوق »
« يروي عن فجور المسلمين وفسادهم وانحطاطهم الادبى شيئاً كثيراً ولكن لم »
« يقل اين رأى ذلك ! على أن الشرقى الذى يسيح مرة فى اوربا يرجع منها معجباً »
« بما رآه فيها من رواء ومناظر بهيجة ولكن هذا الاعجاب يشوبه شئ من »
« النفور مما شاهده من حالة الانحطاط الادبى الذى رآه عاماً فى تلك »
« الاصقاع على خلاف ما يقوم بذهن الغربى اذا ساح فى بلد من البلاد »
« الاسلامية فلا تراه يشكو من الشكوى الا من عدم توفر وسائل »
« السرور والملاهى . !! »

« وقد دلت الاحصاآت فى بلاد فرنسا ان من بين النساء اللاتى »
« يتعاطين حرفة البغاء بتصريح من الحكومة اربعين فى المائة غير بالغات »
« سن الرشد ! وان فى المواليد اكثر من الربع هم من الزنا ! وانه يقتل فى »
« كل عام نحو من ١٥٠ الف نفس وقت الوضع او اثناء الحمل ! ولا يفوتنا »
« ان تلك الاحصاآت لا تشمل الا ما وصل الى علم الحكومة من تلك الاحوال »
« والا فان العدد الحقيقى لذلك يبلغ خمسمائة الف على الاقل لما هو معلوم »

« من ان القتل هو الطريقة الوحيدة التي يلجأ اليها في تلك البلاد في »
« غالب الاحيان لاخفاء ثمرة ما ارتكب من الزنا حتى قال في ذلك »
« كاتبهم الشهير چول سيمون : انه لمن المعجزات ان ينجو ولد زنا »
« من القتل . »

« أليست تلك الاعداد ناطقة بان الانحطاط في تلك البلاد قد بلغ »
« مبلغاً عظيما ؟ أفبعد ذلك تتهموننا بأن الرق باق الى تلك الايام عندنا »
« وانتم في بلادكم تتجرون بالبيض لابالسود اشنع تجارة ؟ وقد تكلم عن »
« ذلك غير مرة كثير من الكتاب والجرائد في كثير من البلاد ولاأرى »
« موجباً لاطالة الكلام في ذلك . »

« ويخيل لي ان جماعة هؤلاء المتطرفين في الشهوات وحب اللذات »
« لم يوشكوا ان ينقرضوا بل بالعكس ارى كثيراً من الناس ليس لهم هم »
« في تلك الحياة الا الملذات والوصول اليها بكل طريق وكثير منهم »
« يتباهون انهم رأوا كل شيء وذاقوا كل لذيذ حتى اصبحوا ولا شيء »
« يؤثر على شعورهم وهؤلاء هم جماعة قد انقطعوا لذلك وخرجوا عن »
« كل شيء في الحياة الا عن الملذات واللهو . ويتلو هذا الفريق فريق »
« آخر أصيبوا بالصرع لافراطهم وفريق ثالث قد بلغ منهم انحطاط »
« الآداب اعظم درجة كما يوجد كثير من النساء لا يرغبن ان يكن »
« آلات انتاج بل يرغبن ان يحافظن على حسنهن وجمالهن في المجتمعات ! »

« واني اناقشكم الحساب في ذلك فقد اخترعتم آلات للحرب »
« تعدمون بها آلافا من الرجال في طرفة عين وآلات تقرب المسافات »

« وطرقاً مالية ان اكسبت مرة آلافاً من الفرنكات فى اقل من اربع »
« وعشرين ساعة فقد اضاعت امثال امثالها فى اقل من ذلك الوقت ! »
« وقد وضعتم مبادئ عالية فى ادارة الحكومات وتقرئون فى مدارسكم »
« مبادئ حكيمة على الآداب ولكن هل اصلحتم الناس وصيرتموهم »
« احسن حالاً مما كانوا عليه من قبل ؟ انى اشك ان يكون الجواب »
« منكم ايجاباً . »

« ألست محقاً ان قلت لكم ان الآداب عند الكثير من رجالكم »
« ليست فى كون النفس منطبعة على الخير وسلوك الطريق القويم بل »
« هى قاصرة على الخوف من رجال الشرطة وعقاب القانون ؟ »

« نعم قد عم الضرر وفشا فى بلاد اوربا ولا غرابة فى ذلك »
« فان المدنية قد اقتصرت الى هذه الايام على نشر انوار العرفان »
« ونبذ مبادئ الفضيلة : فقد أهملت تربية النفس وذهبت بما كان »
« يعتقد فيه من تلك الاوهام التي كانت بها تسلية النفوس وتلك »
« الاحلام التى كانت تزين الحياة وتردع النفوس عن شهواتها وتقمع »
« الاهواء عن غيها . »

« هذه المدنية الحديثة تعلم الناس ان لاشىء فى السماء وان الارض »
« هى الجنة الوحيدة ان كان هناك جنة . وان اصل الانسان قرد وان »
« الحكمة والرشد فى ان تنال النفس مبتغاها ومشتهاها ! وتسمعنا بجانب »
« ذلك جعجعة الفاظ الاخاء والاحسان والواجب وبذل النفس وغير »
« ذلك من تلك الالفاظ الطلية التى يقصد منها زخرف القول فى »

« خطاب يوجه الى سذج يراد التأثير والضحك عليهم . »

« نعم ان المسلم ليقع فى ارتباك وحيرة اذا اراد ان يلقى خطبة »
« موضوعها الآداب لان الاخلاص للغير عنده ليس من العلوم التى »
« يتلقاها عن غيره بل هو أمر غريزى عنده . وكثيراً ما اعجب الغربيون »
« من السياح بتلك الصفات الفاضلة التى تميزت بها المجتمعات الاسلامية : »
« فان اباء النفس عند التركى والعربى والكرامة وسلامة القلب مما تضرب »
« به الامثال . »

« فى تلك المجتمعات الاسلامية لا تعرف النساء ما يتخذه امثالهن »
« فى المجتمعات الاخرى ولا الرجال ما يسلكه اقرانهم فى تلك المجتمعات »
« من الطرق التى بها خراب العائلات وانفصام عراها . »

« ففى المجتمعات الاسلامية يتبادل كل فرد المودة والوفاء »
« لاخيه ويحسن معاشرته والولاء لاهله وذويه وما ذلك الا عن طيب »
« فى النفس وحسن سجية فى الخلق فترى الواحد منهم مرتبطاً بالآخر »
« لا لانه ينتظر منه نفعاً فى الحال أو فى المآل ولا لانه يراه غِرّا يضحك »
« عليه ولكن لانه يحبه من صميم فؤاده ولان ذلك الود متبادل بين »
« الطرفين . »

« وانى لاعلم وملء جوانحى الاسف ان هذا الشعور والاحساس »
« آخذ فى الزوال والانقراض فما حل الاوربى فى مكان الا وانتزع »
« ذلك منه بيد القسوة والشدة . »

« ولست انا اول من تجاسر على القول بذلك فانى قرأت كتابين »

« شهيرين على البلاد التركية اولهما كتاب عنوانه « داء الشرق » والثانى »
« تركيا الرسمية » وفى كلا الكتابين قد جاء بصريح العبارة ان المسيحيين »
« هم الذين أفسدوا المسلمين . ولا يمكن ان يرمى مؤلفا هذين الكتابين »
« بالتحيز الى الاتراك ومراعاة جانبهم . وهـذا ايضاً ما يشعر به ويقوله »
« كثير من اصدقائى الاوربيين : فانهم مجمعون على ان الذين بذروا »
« الفساد بين المسلمين هم هؤلاء الدجالون المزورون المجرمون »
« المرابون وارباب الحانات وغيرهم من امثالهم العديمي الذمة الذين »
« يراهم الانسان بين المستشرقين والاوربيين انفسهم . »

« فان المسلمين قد اضطروا الى الكذب والسرقة والتزوير دفاعاً »
« عن اموالهم ونفوسهم من تعديات هؤلاء وشرورهم . »

« وقد روى الدوق داركور حديثاً جرى له مع احد القضاة يحاول »
« ان يثبت به ان الفلاح لا يرجع الا الى الكذب وشهادة الزور فى »
« الدفاع عن نفسه فى المحاكمات . نعم ان ذلك حق فى الغالب ولكن على »
« من التبعة فيه ؟ أليست على هؤلاء المزورين والمرابين من الاجانب »
« الذين تفردوا فى اسباب الزور والبهتان واستعملوا كل طريقة وتدليس »
« واحتيال فى اغتصاب اراضيهم ؟ »

« ومما يثبتنى فى هذا الاعتقاد انى رأيت رجلاً من خيرة الرجال »
« ممن شغلوا مركز القضاء فى المحاكم المختلطة مدة من الزمن يشاركنى »
« فيه ايضاً وذلك الرجل هو مؤلف كتاب « مصر واوربا » وانى أثبت »
« رأيه فى صداقة المصريين معارضة لرأى ذلك القاضى الذى يروى »

« عنه الدوق داركور . »

« فقد قال فى الصحيفة ٥٥ من الجزء الاول من كتابه هذا مانصه : »

« انه يستحيل على من عرف المصريين المسلمين — الطبقة المتمدنة »

« منهم — أن لايتأثر بما يراه فيهم من الانطباع على الصدق ولا يمكن ان »

« يقال ان الواحد منهم يبث مافى صدره ويبوح بسره الى غيره خصوصاً »

« فى علاقته مع الاوربيين فكأنهم خلقوا لأن يكونوا محتاطين في »

« امورهم وهم محقون كل الحق فى احتياطهم هذا وتحفظهم وتفضيلهم »

« السكوت على الاندفاع فى الكلام ولكنهم لا يغشون احداً ولا »

« يكذبون سواء فى الاعمال المكلفين بها او فى غير ذلك من الامور »

« التى لا صالح لهم فيها . فان الدين عندهم وطباعهم ينهيانهم عن الكذب »

« ويحذرانهم منه . »

« ومعلوم ان محبة الصدق أسمى فى الغالب عند الطبقات العالية »

« منها عند الطبقات الاخرى . وكذلك الحال فى البلاد المصرية ولكن »

« لايمكن ان يقال ان الفلاحين اوفقراء المصريين فى المدن اكثر كذباً أو »

« أقل صدقاً من امثالهم فى البلاد الاوربية . »

« نعم يجب ان استثنى من هذه القاعدة هؤلاء المصريين الذين قد »

« أفسدتهم معاشرة الاوربيين أوهؤلاء الاجانب المستشرقين هؤلاء الذين »

« يظهرون بمظهر الزخرف والبهاء ويسيئون معاملتهم ويظهرون لهم الازدراء »

« والاحتقار فهؤلاء المصريون يلجأون الى الكذب من غير محاذرة ولا »

« محاسبة ضمير كلما رأوا فى ذلك مخلصاً لهم من ورطة يكونون قد وقعوا »

« ولقد قال احد الشعراء المعدودين ان لكل امرئ فى قلبه »
« شيطاناً نائماً . نعم ان هذا حقيقي وحاصل خصوصاً فى اوربا اذ يرتكب فيها »
« من الدنايا ما تنفر عنه نفس المسلم وتتخذ شباك وحيل لا يرضاها لنفسه ! »
« لذلك كان المسلم على وجه العموم عفوفاً زاهداً واذا كتب عليه »
« الوقوع فى امر منكر لا يتعدى الطريق الطبيعي ولا يتفنن فيه . »
« اذا علم ذلك فليت شعرى كيف تسنى للدوق داركور الزعم بأن »
« الدين الاسلامي يدعو الى الشهوات البهيمية . ومن العجيب انك ترى الدوق »
« يروي عن فجور المسلمين وفسادهم وانحطاطهم الادبي شيئاً كثيراً ولكن لم »
« يقل اين رأى ذلك ! على أن الشرقي الذي يسيح مرة فى اوربا يرجع منها معجباً »
« بما رآه فيها من رواء ومناظر بهيجة ولكن هذا الاعجاب يشوبه شيء من »
« النفور مما شاهده من حالة الانحطاط الادبي الذى رآه عاماً فى تلك »
« الاصقاع على خلاف ما يقوم بذهن الغربي اذا ساح فى بلد من البلاد »
« الاسلامية فلا تراه يشكو من الشكوى الا من عدم توفر وسائل »
« السرور والملاهى . !! »

« وقد دلت الاحصاآت فى بلاد فرنسا ان من بين النساء اللاتى »
« يتعاطين حرفة البغاء بتصريح من الحكومة اربعين فى المائة غير بالغات »
« سن الرشد ! وان فى المواليد اكثر من الربع هم من الزنا ! وانه يقتل فى »
« كل عام نحو من ١٥٠ الف نفس وقت الوضع او اثناء الحمل ! ولا يفوتنا »
« ان تلك الاحصاآت لا تشمل الا ما وصل الى علم الحكومة من تلك الاحوال »
« والا فان العدد الحقيقي لذلك يبلغ خمسمائة الف على الاقل لما هو معلوم »

« من ان القتل هو الطريقة الوحيدة التى يلجأ اليها فى تلك البلاد فى »
« غالب الاحيان لاخفاء ثمرة ما ارتكب من الزنا حتى قال فى ذلك »
« كاتبهم الشهير چول سيمون : انه لمن المعجزات ان ينجو ولد زنا »
« من القتل . »

« أليست تلك الاعداد ناطقة بان الانحطاط فى تلك البلاد قد بلغ »
« مبلغاً عظيما ؟ أفبعد ذلك تتهموننا بأن الرق باق الى تلك الايام عندنا »
« وانتم فى بلادكم تتجرون بالبيض لابالسود اشنع تجارة ؟ وقد تكلم عن »
« ذلك غير مرة كثير من الكتاب والجرائد فى كثير من البلاد ولاأرى »
« موجباً لاطالة الكلام فى ذلك . »

« ويخيل لى ان جماعة هؤلاء المتطرفين فى الشهوات وحب اللذات »
« لم يوشكوا ان ينقرضوا بل بالعكس ارى كثيراً من الناس ليس لهم هم »
« فى تلك الحياة الا الملذات والوصول اليها بكل طريق وكثير منهم »
« يتباهون انهم رأوا كل شئ وذاقوا كل لذيذ حتى اصبحوا ولا شئ »
« يؤثر على شعورهم وهؤلاء هم جماعة قد انقطعوا لذلك وخرجوا عن »
« كل شئ فى الحياة الا عن الملذات واللهو . ويتلو هذا الفريق فريق »
« آخر أصيبوا بالصرع لافراطهم وفريق ثالث قد بلغ منهم انحطاط »
« الآداب اعظم درجة كما يوجد كثير من النساء لا يرغبن ان يكن »
« آلات انتاج بل يرغبن ان يحافظن على حسنهن وجمالهن فى المجتمعات ! »

« وانى اناقشكم الحساب فى ذلك فقد اخترعتم آلات للحرب »
« تعدمون بها آلافا من الرجال فى طرفة عين وآلات تقرب المسافات »

« وطرقاً مالية ان اكسبت مرة آلافاً من الفرنكات فى اقل من اربع »
« وعشرين ساعة فقد اضاعت امثال امثالها فى اقل من ذلك الوقت ! »
« وقد وضعتم مبادئ عالية فى ادارة الحكومات وتقرئون فى مدارسكم »
« مبادئ حكيمة على الآداب ولكن هل اصلحتم الناس وصيرتموهم »
« احسن حالاً مما كانوا عليه من قبل ؟ انى اشك ان يكون الجواب »
« منكم ايجاباً . »

« ألست محقاً ان قلت لكم ان الآداب عند الكثير من رجالكم »
« ليست فى كون النفس منطبعة على الخير وسلوك الطريق القويم بل »
« هى قاصرة على الخوف من رجال الشرطة وعقاب القانون ؟ »

« **نعم قد عم الضرر وفشا فى بلاد اوربا ولا غرابة فى ذلك** »
« **فان المدنية قد اقتصرت الى هذه الايام على نشر انوار العرفان** »
« **ونبذ مبادى الفضيلة** : فقد أهملت تربية النفس وذهبت بما كان »
« يعتقد فيه من تلك الاوهام التي كانت بها تسلية النفوس وتلك »
« الاحلام التى كانت تزين الحياة وتردع النفوس عن شهواتها وتقمع »
« الاهواء عن غيها . »

« هذه المدنية الحديثة تعلم الناس ان لا شيء فى السماء وان الارض »
« هى الجنة الوحيدة ان كان هناك جنة . وان اصل الانسان قرد وان »
« الحكمة والرشد فى ان تنال النفس مبتغاها ومشتهاها ! وتسمعنا بجانب »
« ذلك جعجعة الفاظ الاخاء والاحسان والواجب وبذل النفس وغير »
« ذلك من تلك الالفاظ الطلية التى يقصد منها زخرف القول فى »

« خطاب يوجه الى سذج يراد التأثير والضحك عليهم . »

« نعم ان المسلم ليقع فى ارتباك وحيرة اذا اراد ان يلقى خطبة »
« موضوعها الآداب لان الاخلاص للغير عنده ليس من العلوم التى »
« يتلقاها عن غيره بل هو أمر غريزى عنده . وكثيراً ما اعجب الغربيون »
« من السياح بتلك الصفات الفاضلة التى تميزت بها المجتمعات الاسلامية : »
« فان اباء النفس عند التركى والعربى والكرامة وسلامة القلب مما تضرب »
« به الامثال . »

« فى تلك المجتمعات الاسلامية لا تعرف النساء ما يتخذه امثالهن »
« فى المجتمعات الاخرى ولا الرجال ما يسلكه اقرانهم فى تلك المجتمعات »
« من الطرق التى بها خراب العائلات وانفصام عراها . »

« ففى المجتمعات الاسلامية يتبادل كل فرد المودة والوفاء »
« لاخيه ويحسن معاشرته والولاء لاهله وذويه وما ذلك الا عن طيب »
« فى النفس وحسن سجية فى الخلق فترى الواحد منهم مرتبطاً بالآخر »
« لا لانه ينتظر منه نفعاً فى الحال أو فى المآل ولا لانه يراه غِرّاً يضحك »
« عليه ولكن لانه يحبه من صميم فؤاده ولان ذلك الود متبادل بين »
« الطرفين . »

« وانى لاعلم وملء جوانحى الاسف ان هذا الشعور والاحساس »
« آخذ فى الزوال والانقراض فما حل الاوربى فى مكان الا وانتزع »
« ذلك منه بيد القسوة والشدة . »

« ولست انا اول من تجاسر على القول بذلك فانى قرأت كتابين »

« شهيرين على البلاد التركية اولهما كتاب عنوانه « داء الشرق » والثانى »
« تركيا الرسمية » وفى كلا الكتابين قد جاء بصريح العبارة ان المسيحيين »
« هم الذين أفسدوا المسلمين . ولا يمكن ان يرمى مؤلفا هذين الكتابين »
« بالتحيز الى الاتراك ومراعاة جانبهم . وهذا ايضاً ما يشعر به ويقوله »
« كثير من اصدقائى الاوربيين : فانهم مجمعون على ان الذين بذروا »
« الفساد بين المسلمين هم هؤلاء الرجالون المزورون المجرمون »
« المرابون وارباب الحانات وغيرهم من امثالهم العديمى الذمة الذين »
« يراهم الانسان بين المستشرقين والاوربيين انفسهم . »
« فان المسلمين قد اضطروا الى الكذب والسرقة والتزوير دفاعاً »
« عن اموالهم ونفوسهم من تعديات هؤلاء وشرورهم . »
« وقد روى الدوق داركور حديثاً جرى له مع احد القضاة يحاول »
« ان يثبت به ان الفلاح لا يرجع الا الى الكذب وشهادة الزور فى »
« الدفاع عن نفسه فى المحاكمات . نعم ان ذلك حق فى الغالب ولكن على »
« من التبعة فيه ؟ أليست على هؤلاء المزورين والمرابين من الاجانب »
« الذين تفردوا فى اسباب الزور والبهتان واستعملوا كل طريقة وتدليس »
« واحتيال فى اغتصاب اراضيهم ؟ »
« ومما يثبتنى فى هذا الاعتقاد انى رأيت رجلاً من خيرة الرجال »
« ممن شغلوا مركز القضاء فى المحاكم المختلطة مدة من الزمن يشاركنى »
« فيه ايضاً وذلك الرجل هو مؤلف كتاب « مصر واوربا » وانى اثبت »
« رأيه فى صداقة المصريين معارضة لرأى ذلك القاضى الذى يروى »

« عنه الدوق داركور . »

« فقد قال فى الصحيفة ٥٥ من الجزء الاول من كتابه هذا مانصه : »

« انه يستحيل على من عرف المصريين المسلمين — الطبقة المتمدنة »
« منهم — أن لا يتأثر بما يراه فيهم من الانطباع على الصدق ولا يمكن ان »
« يقال ان الواحد منهم يبث ما فى صدره ويبوح بسره الى غيره خصوصاً »
« فى علاقته مع الاوربيين فكأنهم خلقوا لأن يكونوا محتاطين في »
« امورهم وهم محقون كل الحق فى احتياطهم هذا وتحفظهم وتفضيلهم »
« السكوت على الاندفاع فى الكلام ولكنهم لا يغشون احداً ولا »
« يكذبون سواء فى الاعمال المكلفين بها او فى غير ذلك من الامور »
« التى لا صالح لهم فيها . فان الدين عندهم وطباعهم ينهيانهم عن الكذب »
« ويحذرانهم منه . »

« ومعلوم ان محبة الصدق أسمى فى الغالب عند الطبقات العالية »
« منها عند الطبقات الاخرى . وكذلك الحال فى البلاد المصرية ولكن »
« لا يمكن ان يقال ان الفلاحين اوفقراء المصريين فى المدن اكثر كذباً أو »
« أقل صدقاً من امثالهم فى البلاد الاوربية . »

« نعم يجب ان استثنى من هذه القاعدة هؤلاء المصريين الذين قد »
« أفسدتهم معاشرة الاوربيين أو هؤلاء الاجانب المستشرقين هؤلاء الذين »
« يظهرون بمظهر الزخرف والبهاء ويسيئون معاملتهم ويظهرون لهم الازدراء »
« والاحتقار فهؤلاء المصريون يلجأون الى الكذب من غير محاذرة ولا »
« محاسبة ضمير كلما رأوا فى ذلك مخلصاً لهم من ورطة يكونون قد وقعوا »

« فيها . وكذلك الفلاحون الذين اثقلتهم معاملة هؤلاء المرابين الاجانب »
« الذين استخلصوا ما بأيديهم واستنزفوا موارد ثرواتهم وابتزوا أموالهم »
« تحت حماية الامتيازات القنصلية فانهم رجعوا عن الصدق فى »
« معاملتهم مع أولئك الاوربيين واليونانيين والغربيين المستشرقين »
« ويلجأون الى الكذب امام تلك المحاكم المختلطة التى لا ثقة لهم بها . »
« وفيما عدا ذلك يجب علينا القول ان الفلاحين فى الغالب هم »
« صادقون فى اقوالهم وفيما يشهدون به امام المحاكم : يثبت ذلك طول »
« التجربة فى هذه المحاكم فانها شاهد لهم لا عليهم . اهـ »
« ألم يسمع جناب الدوق داركور ان كثيراً من المسيحيين قد أثروا بادنى »
« الطرق واسفل الوسائل وآثمها ؟ اذا كان الحق كذلك فلم السكوت عنه ؟ »
« واذا كانت الاجابة سلباً فانى لاعجب كل العجب من ذلك »
« لصدوره من شخص قد زار الديار المصرية ثلاث مرات ! ! ! اهـ . »

. . . .
. . . .

وفى هذا القدر كفاية فلنقتصر عليه اذ كتاب الرد على الدوق داركور مشحون كله بمثل هذه الدرر والردود الحكيمة القاطعة بفساد مبادىء المدنية الغربية التي ينادى الآن بوجوب العمل بها فى البلاد الاسلامية ! !

خاتمة

هذا ما قاله حضرة محرر المرأة فى سنة ١٨٩٤ وقد رددنا صداه فى سنة ١٩٠٠ فحمل علينا هو وانصاره حملة منكرة ورمونا بالجهل وعدم الفهم وعدم الرغبة فى الترقى وحب البقاء على قديم العادات :

على اننا لم نقل قط بعدم تغيير عادة يقوم الدليل على بطلانها وعدم صلاحيتها كما اننا لم نقل ولن نقول ان كل عادات الفرنج باطلة او انه لا يلزم الاخذ بما يوجد نافعاً منها بل قلنا ونقول انه يجب تخير احسن العادات وأنفعها واكثرها ملاءمة لنا ولديننا ولبلادنا وما نختاره منها يجب حث الامة على الاخذ به واتباعه لا فرق فى ذلك بين ما نتخيره من عاداتنا وما نأخذه من عادات غيرنا كما يفعله كل عاقل يريد الخير لأمته وبلاده لا أن ننبذ كل عاداتنا كيفما كانت حسنة ونقبح كل ما ليس افرنكياً ونقلد الغربى فى كل شيء تقليداً اعمى قد يضر بنا اكثر مما ينفعنا .

فليست كل عادات الغرب واخلاقه تصلح للشرق فلكلٍّ وجهةٌ ودين ولغة متباينة ولكل قوم آداب خاصة بهم كما قال حضرة الراد على الدوق داركور .

فليسعَ ذوو الهمم العالية والنفوس الابية ممن يرغبون فى خير البلاد والعباد ويغارون على دينهم وقوميتهم وليرشدوا الامة الى احسن طرق

صلاحها ويدلوها على انجع دواء لأدوائها ويرسموا لها كيفية تربية ابنائها وبناتها حسبما يقتضيه الدين ويأمر به الشرع ويوافق عليه الادب وتقتضيه ظروف الاحوال الحاضرة والمستقبلة .

نعم كثر حديث اهل مصر فى مسألة المرأة وحقوقها وما يجب ان تكون عليه فى الهيئة الاجتماعيـة وبحثوا في الحرية واطلاقها واهملوا امر التربية الحقيقية . ولم نسمع ان احداً من فضلائنا قام بتأسيس مدرسة لتربية البنات جعل الدين اساس التعليم فيها وسلك فى تنظيمها وترتيبها مسلك المدارس الاوربية من حيث انشاء محل للصلاة فى المدرسة وتحبيب الفضيلة الدينية الى قلوب البنات واعطائهن من العلوم والآداب ما يكفى لأن يجعلهن زوجات صالحات وأمهات مربيات ينتجن اولاداً وبنات صالحين نافعين .

ولربما يقال لنا انه تأسست مدرسة — دار التربية — شهد لها حضرة قاسم امين بك بانها المدرسة التي يرغب فيها ويحلم بها وحث الامة على ادخال بناتها فيها لان فيها كل الخير المطلوب والبركة الموعودة بها البلاد فى كتاب «تحرير المرأة» وانها هى المتكفلة بتخريج المرأة الجديدة . نعم مثل هذا الكلام يقال ومثل هذه المدرسة أسست ولكننا نقول ان مدرسة لا يكون الدين اساس التعليم فيها ولا تتأدب تلميذاتها بآداب الاسلام لا يمكن ان تفيد فائدة مّا بلاداً اسلامية بل عدمها خير للبلاد من وجودها . لان التربية الصحيحة التي تفيد البنات والبـلاد وتعود على الابناء فى المستقبل بأجل الفوائد هى التربيـة القومية الدينية الخالية من الحشو الباطل . فليبحث

المسلمون فى ذلك وليعملوا لدينهم ودنياهم فالتربية أصبحت كما قال سلطان مالديف من المسائل الحيوية للاسلام وللمسلمين ومن اللازم على جميع من يهمهم ارتفاع الاسلام وعزة البلاد ان لا يضيعوا الاوقات فى جدال ومناقشات قد لا تفيد . قال اللورد كورزون حاكم الهند العام من خطبة انيقة ألقاها على مسمع عدد عظيم من اكابر الهند وأفاضلها عند زيارته لمدرسة عليكده الاسلامية (١) :

«ولو كنت اميراً من امراء المسلمين اوغنياً من اغنيائهم لما أضعت خمس»
« دقائق تمر عليّ لا افكر بها فى اى وسيلة افيد بها ابناء ملتى وارقى »
« بواسطتها اخوانى المسلمين فى هذه الديار . وكنت احصر مساعيّ فى »
« التعليم والتربية . اجل فى التربية والتعليم لا سواهما . »

فلنهب اذاً من غفلتنا بعد أن طال نومنا وبعد ان ايقظنا القوم . وليكن اعتمادنا فى التعليم والتربية على الدين ومبادىء الشرع الشريف وليس هذا هو رأينا وحدنا بل رأي العقلاء من الامم الاخرى . قال اللورد كورزون فى خطبته سالفة الذكر :

« فانتم تقولون انه لا امل لكم فى اعادة شيء من ماضى مجدكم »
« وعزكم الا بضم العلوم العصرية الى علومكم . حقاً لقد اصبتم كبد »
« الحقيقة : تمسكوا بدينكم الذى اجتمعت فيه اصول الرفعة والشرف »
« ومنابع الحقيقة واجعلوا ذلك أساساً لتربيتكم وتعليمكم لان التربية بغير »
« اساس دينى كبنيان القصور على الهواء وان كان اولاد المدارس الابتدائية »

---

(١) انظر ترجمة الخطبة برمتها فى عدد ١٦ مايو سنة ١٩٠١ من جريدة المؤيد الغراء

« والعالية صغار السن لا يدركون معنى هذه الحقيقة . وهكذا تمسكوا »
« بهذا المبدإ وهذه القواعد حتى تجنوا ثمرة شجرة التربية التى كانت »
« نامية احسن نموّ فى الحدائق الشرقية والآن صارت تنمو فى الحدائق »
« الغربية . »

وانا لا شك اذا ربينا الناشئة على اصول الدين الذى جمع كما قال اللورد المذكور أصول الرفعة والشرف ومنابع الحقيقة لا نخيب فى مسعانا وتتحقق آمالنا من استرجاع مجد الدين والاقتداء بالسلف الصالح وهذا ماقاله جناب اللورد كرزون أيضاً فى خطبته سالفة الذكر حيث قال :

« نعم يمكن للمسلمين ان يسابقوا غيرهم اذا هم تعلموا كيف يسابقون »
« وهو ما عرفوه مرة قبل هذا الوقت فى ايام كان فيها للمسلمين السطوة »
« والسلطان وكان قضاتهم يحكمون بالعدل بين الناس وفلاسفتهم وأئمتهم »
« يؤلفون الكتب النفيسة . »

فلنترك الجدال واللجاج اذاً ولنشمر عن ساعد الجد ونبحث عما ينفعنا وطرق الفوز بالمراد ونيل المرغوب

ولم يبق محل للجدال فى الحجاب ورفعه بعد ان قال قاضى قضاة مصر كلمته فيه وحكم ببقائه . كما انه لا لزوم لتضييع الوقت فى المجادلة والمناقشة فيما اذا كانت تمكن التربية مع وجود الحجاب او لا تمكن فقد اصبح الكلام فى ذلك من باب تحصيل الحاصل بل مما لا فائدة فيه ما دام الدين يحظر رفع الحجاب والاختلاط . على انه قد ثبت من نفس اقوال حضرة قاسم امين بك انه نبغ من بين المسلمات من شرفن جنسهن ولم يمنع الحجاب

هؤلاء النساء من ان ينبغن فى العلوم والمعارف والفضائل . قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : رحم الله نساء الانصار لم يكن الحجاب يمنعهن من ان يتفقهن فى الدين .

وقد وافق على ذلك حضرة صاحب المنار — وهو ممن يعتد برأيهم حضرة صاحب المرأة الجديدة ويعول على قولهم — . وقال ان التربية والتعليم لا يتوقفان قط على كشف الوجه ولكنهما يتوقفان فى كمالهما على مخاطبة الرجال وهذا الامر ممكن سهلته الشريعة الغراء بتصريحها للمرأة بالاختلاط مع محارمها وهم غير قليلين : اذ هذا الاختلاط المحدود ينتج كل الفوائد التى يطلبها حضرة محرر المرأة ولا يتأتى منه المضار التى كثيراً ما تصحب رفع الحجاب .

ومع ذلك فاننا نعرف فى مصر عائلات نساؤها مثال الكمال والادب والحشمة والعفة كان الدين الاساس فى تعليمهن وتربيتهن فلم يمنعهن من ان يكنّ كأكمل الاوربيات ادباً وحسن خلق وحسن ادارة وتدبير واعظمهن فى فهم الفضائل والعمل بها وقد نبغن فى العلوم والمعارف العصرية : فهن يصورن وينقشن وتعلمن فن الموسيقى وغيره وهن مع كل ذلك محافظات على الحجاب التام ولو كان يجوز التصريح باسمائهن لأتينا بها ليتحقق القراء صحة قولنا .

وقد رأينا رجالاً فى غاية الادب والكمال يشعرون ويتألمون بعيدين عن جمود الجنان ثابتى العزيمة — ولا يمنعنا التباين فى الرأى من التصريح بان حضرة قاسم امين بك وبعض أنصاره من بين هؤلاء — وكلهم كانوا ابناء

لامهات محتجبات وازواجاً لزوجات محتجبات وآباء لبنات محتجبات ! !

فلنقف عند هذا الحد ولنجرب التربية والتهذيب والتعليم مع بقاء الحجاب ولنبحث عن احسن طريقة تنفع الامة النفع الحقيقي لا أن نسعى فى التقليد الاعمى فلا يحيق بنا الا الضرر وشر المآل .

وما احسن ما قاله جناب اللورد كرومر من خطبة ألقاها عند الاحتفال بتأسيس المدرسة الانكليزية بالاسكندرية[1] ويا حبذا لو تدبرنا قوله وعملنا به :

« هذا وليعلم المصريون انه ليس للحكومة الانكليزية اقل رغبة »
« ولا نيـة فى { نكلزة } مصر اى جعل اهلها امة انكليزية . بل الذى »
« ترومه وتنويه انما هو ادخال المعارف الغربية وطرق الادارة الغربية »
« الى الديار المصرية ولكنها الى الحد الذى تكون عنده نافعة للمصريين »
« ويكون المصريون قادرين على استخدامها والانتفاع بها . هذا هو »
« الحد الذى تقصد اليه وأما تجاوز ذلك الحد فلا ترغب فيه ولا تسلم »
« به . » انتهى

فلننظر فى امرنا ولنتق الله فى انفسنا وابنائنا ولنسرع باصلاح نفوسنا وتقويم اخلاقنا بما لا ينافى ديننا ولتكن مدارسنا التى نؤسسها قائمة على مبادئ ذلك الدين القويم ولتكن مدرساتها وناظراتها ومعلماتها مسلمات متأدبات بآداب الدين . وحاشا ان تعدم بلاد الشرق وبلاد المسلمين كلها

---

(١) انظر عدد يوم ٢٧ ابريل سنة ١٩٠١ من جريدة المقطم الغراء من مقالة افتتاحية عنوانها « مقاصد الانكليز فى مصر . »

مربيات نافعات صالحات . فانه ان لم يوجد الآن فى مصر منهن من يصلح للتربية والتهذيب فلا نيأس ولا تتخذ ذلك حجة لنا على جلب هؤلاء المدرسات والمديرات من البلاد الاوربية فان ضرر ذلك محقق ونفعه معدوم وما لا نجده هنا نجده بدون شك فى بلاد اخرى فلننشد ضالتنا انّى وجدناها فى اى بلد من البلاد الاسلامية لا فرق فيمن نستحضرهن ونكل اليهن مستقبل اولادنا بين ان يكن سوريات او تركيات او هنديات او افغانيات او عربيات مسلمات ممن نجد فيهن اللياقة التامة والكفاءة والاستعداد . ومن غير المعقول ان تكون كل بلاد المسلمين محرومة ممن يصلحن لذلك فهذه الاستانة العلية من أحسن المدن التي يفاخر الشرق بآداب نسائها وعلمهن وفضلهن وكمالهن كما يشهد به العيان . فما علينا الا ان نجدّ ونبحث ونسير سير الرجال الذين يرغبون فى الاصلاح الحقيقى وليجتمع العلماء والافاضل ويقرروا احسن طريق للتربية والتعليم ويضعوا النظامات الكافية لنيل المقصود مسترشدين فى جميع اعمالهم باحكام الدين وأوامر الشرع وسنة سيد المرسلين ففي ذلك الكفاية لفوزنا وترقينا باعتراف الكل وتسليم الجميع والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

